

مُصطلح الجبر في الصرف العربي: مفهومه وتطبيقاته

أ.د سيف الدين الفقراء
جامعة مؤتة كلية الآداب
قسم اللغة العربية - الأردن

مقدمة:

يدور هذا البحث حول مُصطلح الجبر وأثره في تشكيل بنية الكلمة في العربية، وقد سعى فيه إلى إبراز مفهوم هذا المُصطلح، وتتبّع تطور استعمالات العلماء له، وبيان مرادفاتاته وما استعمله العلماء من تعبيرات دالة عليه، واستقصاء ما تيسّر من مواضع أثره في تشكيل بنية الكلمة في العربية، ونبعت مشكلة البحث من سعة دوران هذا المُصطلح في الدرس اللغوي بعد القرن السادس الهجري وخفوت شيوخه قبل ذلك، وغياب الدراسات الحديثة التي تختص به، وتبيّن أثره وأبعاده في التفسير في اللغة.

ولم يطالعني أحد من الباحثين في تحصيص دراسة له، وتلاشى ذكره من معظم المعجمات التي تحدثت عن المصطلحات اللغوية في العصر الحديث، وقد برزت مسألة الجبر في الفكر اللغوي منذ بزوغ فجره، تحت باب التّعويض، وهي مظهر من مظاهره، غير أنها تختلف عن التّعويض لاقتران الجبر بالوهن في البنية أو التركيب، فكّل جبر تعويض، وليس كّل تعويض جبراً، ولم يطالعني دراسات معاصرة في الجبر في العصر الحديث تناولت المُصطلح، ولكن ثمة دراسات قد تلامس في بعض مضامينها مسائل من الجبر على بُعد، مثل دراسة (قضية القوة والضعف وأثرها في التعليل النحوّي) لأحمد بشارات^(١)، ولكن الباحث الكريم

(1) بشارات، قضية القوة والضعف وأثرها في التعليل النحوّي، ص 7-26.

قصر حديثه على الجانب الصّوقيّ لهذه المسالة، ولم يعرّج على مسألة الجبر بالمفهوم الذي حددته إلّا نادراً، وثمة بحث لغيداء كاظم عنوانه (مفهوم القوة والضعف في اللغة العربية)⁽²⁾ تناولت فيه الباحثة مسائل صوتية ونحوية، ولم تأتي على الجبر وأثره في التشكيل اللغويّ، ويوجد بحث بعنوان (ظاهرة الإجحاف في الدرس الصّرفي والنحوي) لمحمد ذنون وأحمد صالح⁽³⁾، تناولاً فيه مظاهر من الإجحاف في اجتماع إعلالين، وفوات الغرض من اللفظ، والإضرار بالكلمة، واللبس، ومسائل من الإجحاف في النحو، أمّا الدراسات التي كتبت عن التعويض فهي كثيرة ومعروفة عند القدماء والمحدثين.

لقد اتّخذت من المنهج الوصفيّ التحليليّ أداة في الدراسة من خلال استقصاء مواطن الجبر في الدراسات اللغوية، وتصنيفها وتبسيطها وتحليلها، في سبيل تسخير المنهج وصولاً إلى الإجابة عن أسئلة البحث الماثلة في: ما مفهوم الجبر؟ وما هي مرادفاتة الدالة عليه؟ وما مراحل تطور استعمالاته في الدرس النحويّ؟ وكيف اتّخذ منه العلماء علة في تفسير بنية الألفاظ في العربية؟

أولاً - معنى الجبر والتعابيرات الدالة عليه:

الجبر في اللغة يعني الإصلاح، "والجبر أن تُغْنِي الرجل من الفقر، أو تَجْبِرْ عظمه من الكسر، يقول ابن منظور: "وفي حديث الدعاء: واجبرني واهدني"⁽⁴⁾، أي أغتنني؛ من جَبَرَ الله مصيبيته أي ردّ عليه ما ذهب منه أو عَوْضَه عنه، وأصله من جَبْرُ الكسر... والجَبَائر: العيدان التي تشدها على العظم لتجبره بها على استواء، واحدتها جَبَارة وجَبِيرَة"⁽⁵⁾.

والجبر: الإصلاح في اللغة لتحقيق الاستقامة للشيء المجبور، وذهب ابن فارس إلى أنَّ الجيم والباء والراء أصل واحد، وهو جنس من العظامة والعلو

(2) غيداء كاظم عبدالله، مفهوم القوة والضعف في اللغة العربية، ص 71-80.

(3) محمد ذي النون يونس، أحمد صالح يونس، ظاهرة الإجحاف في الدرس الصّرفي والنحويّ، ص 26-96.

(4) الشافعي، مسند الإمام الشافعي، رتبه على الأبواب الفقهية: محمد عابد السندي، ج 1، ص 93.

(5) ابن منظور، لسان العرب، ج 4، ص 115 (جبر).

والاستقامة⁽⁶⁾. فالجبر خلاف الكسر، "وجبر الرجل على الأمر يجبره جبراً، وجُبْرَاً، وأجبره: أكرهه، والأخيرة أعلى"⁽⁷⁾. وقال الراغب: "أصل الجُبْر إصلاح الشيء بضرب من القهر، يقال: جَبْرته فانجبرَ واجترَ، وقد قيل: جَبْرته فجُبِر"⁽⁸⁾. وثمة دلالات أخرى في هذه اللفظة⁽⁹⁾. وجاء في كشاف اصطلاحات الفنون ما نصّه: "أي تجير المكسور، وإصلاح حال شخص ما. وهو أيضاً بمعنى نسبة الخير والشر إلى الله، وبمعنى الإجبار: أي إكراه شخص ما على عمل ما"⁽¹⁰⁾.

إنّ المعاني التي طالعنا في الجبر لغوياً مكرورة، وتنصرف فيها الدلالة إلى معانٍ معجمية، وأخرى فقهية، وثالثة تتصل بالفلسفة والرياضيات، وتتلاشى المفاهيم المتصلة بالنحو والصرف، فقد تلاشى استعمال هذا المصطلح نحوياً من معجمات المصطلحات النحوية القديمة والحديثة، ولم نجد له فصلاً أو باباً من أبواب النحو والصرف، غير أنه تكرر في مسائل لغوية في ألفية ابن مالك وشروحها.

ومفهوم الجبر في الاصطلاح لا يطالعنا في الحدود والتعريفات، ولكننا نلمس له دلالة في الاستعارات والتوجيهات، ورأيت أن أقتبس النص التالي لبيان كيف أصبح الجبر واحداً من القواعد اللغوية في العربية، جاء في ألفية ابن مالك ما نصّه:

فَجَبْرُهُ وَفَتْحُ عَيْنِهِ التَّزْمُ
وَإِنْ يَكُنْ كَثِيَّةً مَا أَلْفَانَ عَدِيمٌ

(6) ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، ج 1، ص 501 (جبر).

(7) ابن سيده، المحكم والمحيط الأعظم، ج 7، ص 405 (جبر).

(8) الراغب الأصفهاني، المفردات في غريب القرآن، ص 183.

(9) الزبيدي، تاج العروس من جواهر القاموس، ج 10، ص 394 (جبر).

(10) التهانوي، موسوعة كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم، ج 1، ص 549.

وعلق الشاطبي في تفسيره لهذا البيت بقوله: "أراد بقوله: (كشية) هذا القيد، وهو اعتلال اللام، ويعني أن حكم مثل هذا أن يُجبر، وجبره الذي ذكره يكون بأحد وجهين : إما بإتمامه بحرف ثالث آخرًا".⁽¹¹⁾

فاجبرُ الذي يتضح ممّا سبق هو إصلاح للفظ ممّا لحقه من الوهن بسبب التغييرات الطارئة عليه، وهذا الإصلاح يكون بإعادة حرف ممحوف أو تغيير في بنية اللفظ، أو زيادة عليه، وقد يتضمن الإصلاح مخالفة القياس أحياناً، وقد يجتمع رد الممحوف مع تغييرات أخرى تقتضيها الصناعة، ويوضح الشاطبي هذه المسألة بقوله: "والذي عليه جمهور النحوين ويظهر من كلامه؛ إذ قال: فجبره وفتح عينه الترم؛ لأن لفظ الجبر أظهر في رد ما حذف منه، وإذا جبر برد ما حُذف منه، فلا بد أن تُفتح عينه، كما قال، والعين في "شيء" هي الشيء، فتقول فيه: وشوي، وهذا ظاهر في اختيار مذهب الخليل وسيبويه من تحريك العين، وإن كان أصلها السكون اعتباراً بأنّها الحركة قبل الرد، ولأن رداً الممحوف تقوية للكلمة، وسلبها ما أنيست به من تحريك العين تضعيف لها، وهم متدافعان، فوجب البقاء على التحرير".⁽¹²⁾

ويظهر من استعمالات النحاة لهذا المصطلح أنه مظهر من مظاهر التعويض اللفظي عن وهن اعتبرى بنيّة اللفظ، أو تعويض معنويّ عن نقص في أحد أحکامه كالعمل، ومثال ذلك ما ذكره العكبري في جعل الجبر علة للعمل في صيغ المبالغة في قوله: "ويعمل فعال وفعول ومفعال عمل اسم الفاعل؛ لأنّ ما فيها من المبالغة وزيادة الحرف جبر لما دخلها من النقص عن اسم الفاعل في جريانه على الفعل، ومن الكوفيين من منع إعمال ذلك، وهو مذهبٌ مخالفٌ لنصوص العرب".⁽¹³⁾

(11) الشاطبي، المقاصد الشافية في شرح الخلاصة الكافية (شرح ألفية ابن مالك)، ج 7، ص 571.

(12) الشاطبي، المقاصد الشافية في شرح الخلاصة الكافية، ج 7، ص 572.

(13) العكبري، اللباب في علل البناء والإعراب، ج 1، ص 441.

ومن أمثلة الجبر المفضي إلى مخالفة القياس ما طالعنا به العلماء من تعليل جمع (قُلة) ونظائرها جمعاً مخالفأً، "وأمّا (قُلة و بُرّة) فجُمِعَت جم السَّلامَة جبراً لها من الوهن الدَّاخِل عَلَيْهَا بِحَذْف لاماتها، وَهَذِه عَلَة مُجَوَّزة لَا مُوجَبة، أَلا ترى أَنَّهُمْ لَم يَقُولُوا فِي (دم) : دَمُون ، وَغَيْرُوا بَعْضَهَا نَحْو كسر السِّين من (سِينٍ) تَنْبِيهَا عَلَى أَنَّ ذَلِكَ لَيْسَ بِأَصْلٍ فِيهَا" ⁽¹⁴⁾.

فالذى يتجلّى من النص السابق استعمال العلماء لمصطلح الجبر على أنه علة لغوية علّلوا بها الاستعمالات وتطورها، وإلى جانب ذلك يظهر لنا مسائل من المخالفة القياسية الشكلية، في سبيل منع اللفظ مكتسباتٍ في أحكامه تعويضاً له عما فيه من الوهن، والنتيجة الأبرز في تحليل هذه النصوص أنّ الجبر مصطلح يستعمل علة ووسيلة مقرونة بحكم لغويٍّ، وهو الوهن، فالجبر ملازم للوهن، وهو مظهر من مظاهر التّعويض للفظ اعتراف تغييرٍ أضعفه.

إنّ الجبر علة لغوية تجاوزت حدود بنية اللفظ لتصل إلى التراكيب، فالجبر مصطلح يطالعنا تعليلاً لبعض التراكيب النحوية التي توافر فيها قدر من الوهن، فقد برع الجبر في مسائل؛ منها ما نصّ عليه ابن الخباز في تعليل بناء (قبل وبعد): "وبنيت قبل وبعد: لأنّهما قطعتا عن الإضافة، ونُوي معهما ما تضافان إليه، فصارتا بعض الكلمة، وذلك لا يستحق إعراباً، وحرّك آخرهما، لأنّ بناءهما عارضٌ، وضمتا لأنّه جعل ذلك جبراً للوهن اللاحق بحذف المضاف إليه" ⁽¹⁵⁾. ومن ذلك ما قاله العلماء في عمل ما عمل ليس، فقد ورد في (همع الهوامع): "قال ابن مالك لما كان عمل (ما) استحسناً لا قياساً؛ شرط فيه الشروط المذكورة؛ لأنّ كلاً منها حال أصلي فالبقاء علّيَّاً تقوية، والتخلّي عنّها أو عن بعضها توهين، وألحق الأربع بـلزوم الوهن عند عدمه الحال من مقارنة إن؛ لأنّ مقارنة إن تزيل شبهها بليس لأنّ ليس لا يليها إن" ⁽¹⁶⁾.

(14) العكري، اللباب في علل البناء والإعراب، ج 1، ص 144.

(15) ابن الخباز، توجيه اللمع، ج 1، ص 259.

(16) السيوطي، همع الهوامع في شرح جمع الجواب، ج 2، ص 1192.

إن المفهوم الذي يعنيها من هذه المفاهيم في الدرس اللغوي خفي عزيز، وهو أن الوهن يعني ضعفاً في بنية الكلمة أو في بنية الجملة يستدعي جبراً يمنحها قوة تمكنها من الظهور على ما آلت إليه؛ لمنع الإجحاف باللفظ أو الترکيب أو المعنى، ومن أمثلته قول العبري : "كُل فعل حُذفت واوه لوقعها بين ياء وكسرة حُذفت في مَصْدِرِهِ، وعُوْضٌ مِنْهَا تاءُ التَّأْنِيْثِ تَحْوِيْنَةً، وَالْأَصْلُ وِعْدَةً؛ فَحُذفت الواوُ هُنَّا كَمَا حُذفت في الفِعْلِ، والوَجْهُ فِي ذَلِكَ أَنَّ الْوَاوَ هُنَّا مَكْسُورَةً، وَقَدْ أُعْلِتَ فِي الفِعْلِ فَأُعْلِتَ فِي الْمَصْدِرِ لِيَلَازِمَهَا، وَكَانَتِ الْكَسْرَةُ فِيهَا كَالْيَاءُ قَبْلَهَا فِي الْفِعْلِ، إِلَّا أَنَّهُ عُوْضٌ مِنْهَا تاءُ التَّأْنِيْثِ؛ لِتَلَّا يَدْخُلَ الْوَهْنَ بِالْكُلِّيَّةِ عَلَى الْأَسْمَاءِ الَّتِي هِيَ الْأَصْوَلُ وَلَيْسَتْ مَوْضِعًا لِلتَّصْرِيفِ" ⁽¹⁷⁾.

لقد اقتربنا الجبر بالوهن في العربية، وشكلاً معاً ثنائية متلازمة، فالوهن حكم والجبر وسيلة أو علة، ويتجلى هذا الاقتران في همزة الوصل في الأسماء العشرة التي جيء بها لمعالجة الوهن في بنيتها، وعبر العلماء عن الجبر بالتعويض، يقول الرضي: "والهمزة في الأسماء العشرة عوض مما أصابها من الوهن : إذ هي ثلاثة تكون ضعيفة الخلقة، وقد حُذفت لاماتها نسياً، أو هي في حكم المحوف، وهو وَهْنٌ عَلَى وَهْنٍ، لأن المحوف نسياً كالعدم" ⁽¹⁸⁾.

لقد استعمل العلماء مرادفات لغوية وتعبيرات متنوعة للتعبير عن مصطلح الجبر، مثل: جبر، المجبور، لجبر، لجبره، يجبرون، يجبرُ، جابر، وقد نجد تعبيرات أخرى تؤدي دلالة هذا المفهوم دون النّص على الوهن أو الضّعف، وهو استعمال تكرّر في المصادر اللغوية عشرات المرات ⁽¹⁹⁾، ومن ذلك ما يطالعنا عند ابن هشام في تعلييل جمع (سنة) جمعاً سالماً، يقول: "ألا ترى أن سنة أصلها

(17) العبري، اللباب في علل البناء والإعراب، ج 2، ص 356.

(18) الإستراباذي، شرح شافية ابن الحاجب، ج 2، ص 251.

(19) انظر: المرادي، توضيح المقاصد والمسالك بشرح ألفية ابن مالك، ج 1، ص 151. ابن مالك، شرح تسهيل الفوائد، ج 1، ص 103. الصبان، حاشية الصبان على شرح الأشموني لألفية ابن مالك، ج 2، ص 400.

سنوات أو سنة؛ بدليل قوله في الجمع بالآلف والثاء سنوات أو سنهات، فلما حذفوا من المفرد اللام، وهي الواو أو الهماء وعوضوا عنها هاء التأنيث، أرادوا في جمع التكثير أن يجعلوه على صورة جمع المذكر السالم أعني محتوماً بالواو والنون رفعاً وبالياء والنون جراً ونصباً، ليكون ذلك جبراً لما فاته من حذف اللام، وكذا ذلك القول في نظائره، وهي: عضة وعضون، وعزوة وعزون، وثبة وثيون، وقلة وقلون"⁽²⁰⁾.

لقد جمع ابن هشام بين الجبر والتعويض، فقد يستعملون مصطلح التعويض في بعض المواطن مع الجبر، غير أنّ التعويض ظاهرة أعمّ وأكبر من الجبر، فليس كلّ تعويض جبراً، فعلى الرغم من مجيء بعض مسائل الجبر في باب التعويض، إلا أننا نجد مسائل فيها تعويض وليس فيها جبر؛ لأنّ الجبر ملازم للوهن والضعف في البنية، أمّا التعويض فلا يشرط له ذلك، فمن النوع الأول أي الجمع بين التعويض والجبر، ما ذكره العلماء في تاء (زننة وعدة وشية) وغيرها، فقال بعضهم: إنّ التاء جاءت جبراً لما دخلها من الوهن، وعبر بعضهم عن هذه المسألة بالتعويض كما فعل ابن جنّي في (باب في زيادة الحرف عوضاً من آخر مذوف)⁽²¹⁾. وقد عبر عن هذا التعويض بمصطلح البدل كما فعل في قوله: "أمّا ما حُذفت فاؤه وجيء بزائد عوضاً منه فباب فعلة في المصادر، نحو: عدة وزننة وشية وجهة. والأصل وعدة وزننة وشية وجهة، فحُذفت الفاء لما ذكر في تصريف ذلك، وجعلت التاء بدلاً من الفاء"⁽²²⁾. علمًا أنّ ابن جنّي أفرد باباً لفرق بين البدل والبعوض⁽²³⁾.

(20) ابن هشام، شرح قطر الندى وبل الصدى، ص 50.

(21) ابن جنّي، الخصائص، ج 2، ص 287.

(22) ابن جنّي: الخصائص، ج 2، ص 287.

(23) ابن جنّي: الخصائص، ج 2، ص 266.

ومقابل ذلك هناك مسائل فيها تعويض وليس فيها جبر، كما قالوا في تفسير الميم في اللهم عوضاً من يا النداء⁽²⁴⁾. وقد عرض عبد الفتاح الحموز كثيراً من مسائل التّعويض التي لا تدخل في حيز مفهوم الجبر، كما فعل في الفصل الثاني والثالث والرابع من كتابه ظاهرة التّعويض في العربية⁽²⁵⁾. إنّ هذا يعني عموم التّعويض وخصوصيّة الجبر، فالذّي يميّز الجبر مفهوماً أنّه يقترن بالوهن والتّوھين في بنية اللفظ أو في بنية التركيب.

وقد يستعملون مصطلح إصلاح اللفظ، وهو مصطلح يلتقي مع الجبر من حيث كون الجبر إصلاحاً للكلمة، ولكن في الحقيقة نجد إصلاح اللفظ ظاهرة صرفيّة نحوية تتعلق بتحسين اللفظ على مستوى البنية أو التراكيب، ومن مظاهرها الإبدال أو التّعاقب الصّوقي، والإدغام، والمماطلة والمخالفة، والحدف والزيادة، والتقديم والتأخير، وليس في المسائل التي تدرج تحت هذا المفهوم ما يتّصل بالجبر، وقد استعرضت المسائل التي عرضت في كتاب (إصلاح اللفظ في العربية: مفهومه ومسائله) لأحمد عيد حسن فلم أجد فيها شيئاً يتّصل بالجبر ومفهومه⁽²⁶⁾. والقول نفسه مع الدراسة الموسومة بـ(إصلاح اللفظ في العربية) سعدون الريعي، ومازن العبودي⁽²⁷⁾.

لقد عبر العلماء عن الوهن المقتضي للجبر بعبارات متنوعة نحو: الوهن والتّوھين، وتوھينهم، وفحش الحذف، والإجحاف، والإخلال، والضعف،

(24) سيبويه، الكتاب، ج 1، ص 25.

(25) الحموز، ظاهرة التّعويض في العربية، ص 117-132، وص 133-144، وص 145-154.

(26) حسن، إصلاح اللفظ في العربية: مفهومه ومسائله، مجلة كلية اللغة العربية بالقاهرة، العدد 34، 2016 هـ / 1437.

(27) الريعي، سعدون أحمد، والعبودي، مازن حسن: إصلاح اللفظ في العربية، مجلة كلية التربية الأساسية للعلوم التربوية والإنسانية ، جامعة بابل، العدد 37، لسنة 2018. ص 857-869.

والتضعيّف، والإضعاف، وإضعافهم، وهي تعبيرات ومصطلحات تلتقي في المعنى اللغوّي مع الوهن. وقد تجتمع هذه التعبيرات في نصّ واحد كما هي عند ابن جنّي في تفسير (اطمأن) ⁽²⁸⁾.

ثانياً - تطوير استعمال مصطلح الجبر في الدرس اللغوّي:

لم يستعمل الخليل فيما بحثت عنه مصطلح الجبر في غير المعنى اللغوّي للفظة (جبر) ⁽²⁹⁾، وطالعني استعمال عند سيبويه لمصطلح الوهن؛ دون استعمال الوسيلة وهي الجبر، يقول: "إِذَا كَانَتْ الْهُمْزَةُ مُنْكَسَّةً، وَقَبْلَهَا فُتْحَةٌ؛ صَارَتْ بَيْنَ الْهُمْزَةِ وَالْيَاءِ السَّاكِنَةِ، كَمَا كَانَتْ الْمُفْتَوْحَةُ بَيْنَ الْهُمْزَةِ وَالْأَلْفِ السَّاكِنَةِ. أَلَا تَرَى أَنَّكَ لَا تَتَمَّ الصَّوْتُ هَنَّا وَتَضَعُّفُهُ؛ لَأَنَّكَ تَقْرِّبُهَا مِنَ السَّاكِنِ، وَلَوْلَا ذَلِكَ لَمْ يَدْخُلِ الْحُرْفُ وَهُنْ" ، وذلك قوله : "يَئِسْ وَسَئِيمٌ" ⁽³⁰⁾. إننا لا نعدم استعمالات مرادفة للفظة الجبر عند سيبويه للتعبير عن إصلاح الضعف، كالإبدال والتعويض، ⁽³¹⁾. وعبر سيبويه عن الجبر بمصطلح العوض أو الفرار في بعض المسائل، ومن ذلك حديثه عن إلحاقي الناء بالمصادر عوضاً من ذهاب حرف العلة ⁽³²⁾. ويتجلى استعمال سيبويه للعوض بمعنى الجبر في ما ذكره من زيادة لاحقة التثنية للمفرد، فقد قال العلماء عن هذه الزيادة أنها جاءت جبراً للفظ كما سنرى لاحقاً، ولكن سيبويه استعمل مصطلح العوض في التعبير عن هذه الزيادة، "وتكون الزيادة الثانية نوناً، كأنها عوض لما منع من الحركة والتنوين، وهي النون وحركتها الكسر، وذلك قوله: هما الرجال، ورأيت الرجلين، ومررت بالرجلين" ⁽³³⁾. إن التعبير بالعوض بدلاً من الجبر لما حذف من اللفظ

(28) ابن جنّي: الخصائص، ج 2، ص 76-77.

(29) الخليل، معجم العين، ج 6، ص 116 (جبر).

(30) سيبويه، الكتاب، ج 3، ص 542.

(31) سيبويه، الكتاب، ج 4، ص 331.

(32) سيبويه، الكتاب، ج 4، ص 80.

(33) سيبويه، الكتاب، ج 1، ص 18.

مسألة بارزة عند سيبويه⁽³⁴⁾. وقد نجد نصوصاً صريحة بأنّ العوض منعاً للإخلال باللفظ، وهو المعنى نفسه الذي يؤديه الجبر، وقد تجلّت هذه المسألة في رد المحنوف في باب النسب لعدم الإخلال باللفظ⁽³⁵⁾. وربما جاء عدم الإجحاف مصطليحاً مقارباً للجبر في دلالته عند سيبويه كما في قوله: "واعلم أنّ ما جاء في الكلام على حرف قليل، ولم يشد علينا منه شيء إلا ما لا بال له إن كان شدّ؛ وذلك لأنّه عندهم إجحاف أن يذهب من أقل الكلام عدداً حرفاً... ولم يكونوا ليجحفوا بالاسم فيجعلوه بمنزلة ما ليس باسم ولا فعل، وإنما يجيء لمعنى... ولا يكون شيء من الفعل على حرف واحد؛ لأنّ منه ما يضارع الاسم، وهو يتصرّف وبيني أبنية، وهو الذي يلي الاسم، فلما قرُب هذا القرب لم يجحف به"⁽³⁶⁾.

لم يستعمل الفراء (ت 207هـ) مصطلح الجبر بالمفهوم الذي ندرسه، وجاءت مواضع نادرة من الاستعمال في كتابه (معاني القرآن) لمصطلح لعوض بمعناه المألف⁽³⁷⁾. والقول نفسه مع الأخفش (ت 215هـ) في عدم استعماله مصطلح الجبر، والاقتصار على استعمال مصطلح العوض بمعنى الجبر في مواضع محدودة، كزيادة التاء في زنادقة⁽³⁸⁾، والسيّن في (اسطاع)⁽³⁹⁾، وثمة مسائل نحوية استعمل فيها العوض بمعنى الجبر⁽⁴⁰⁾. ولم يستعمل المبرد مصطلح الجبر، واستعمل العوض في المسائل التي نصّ العلماء اللاحقون له على الجبر فيها⁽⁴¹⁾،

(34) سيبويه، الكتاب، ج 3، ص 598، ج 4، ص 24.

(35) سيبويه، الكتاب، ج 3، ص 362.

(36) سيبويه، الكتاب، ج 4، ص 218-219.

(37) الفراء، معاني القرآن، ج 2، ص 259، وانظر: ج 2، ص 269.

(38) الأخفش، معاني القرآن، ج 1، ص 118، 177، 181، 209، 363، ج 2، ص 515.

(39) الأخفش: معاني القرآن، ج 2، ص 434.

(40) الأخفش: معاني القرآن، ج 1، ص 122.

(41) المبرد، المقتضب، ج 1، ص 105، ج 2، ص 99.

كما في تفسير زِنَة وعِدَة وما يِماثلُهَا"⁽⁴²⁾. هذا ينطبق على ابن السراج (ت316هـ) في عدم استعمال مصطلح الجبر، واستعماله مصطلح العوض بمفهوم الجبر، وقد أفرد باباً كاملاً لما دخلته الماء عوضاً"⁽⁴³⁾. غير أنّ ابن السراج استعمل العوض مصطلحاً في مسائل لغوية أدخلها اللاحقون في باب الجبر⁽⁴⁴⁾. والقول نفسه مع الرماني (ت384هـ) في استعمال مصطلح العوض في مسائل من باب الجبر⁽⁴⁵⁾.

تلاشى مصطلح الجبر من الاستعمال عند أبي علي الفارسي (ت377هـ) الذي استعمل مصطلح العوض والتّعويض بمفهومه"⁽⁴⁶⁾. واستعمل ابن الوراق (ت381هـ) مصطلح العوض أيضاً⁽⁴⁷⁾، والقول نفسه مع السيرافي (ت384هـ) الذي شاع عنده مصطلح العوض⁽⁴⁸⁾. إنّ الذي ظهر لي أنّ مصطلح الجبر لم يكن شائعاً في استعمالات النحاة لغاية القرن الخامس الهجري، فلا وجود له عند ابن جنّي (ت392) الذي استعمل الإيدال والتّعويض مصطلحات في مسائل أدرجها بعض اللاحقين له بالجبر. ومن أوائل الاستعمالات التي طالعتني لهذا المصطلح جاء عند الحريري (ت516هـ) في كتابه (ملحة الإعراب) مقتربنا بمصطلح (الوهن) وانتقل هذا الاستعمال إلى شروح الملحقة، يقول: "ومن ذلك قوله: "تقولُ: زيدٌ لا يُسْبِّ بُرْدَينِ، وحالٌ مُنطَلِقٌ الْيَدِينِ، وتَلَقُّبُ الْمُؤْنِ بِهَا قَدْ ثُنِيَ مِنَ الْمَفَارِيدِ لِحِبِّ الْوَهْنِ"⁽⁴⁹⁾. وهذا ما نقله ابن الصائغ في شرح الملحقة، في قوله: "وَيَلْتَحِقُ الْأَلْفُ وَاللَّامُ بِأَوَّلِ الْمُثَنَّى إِذَا كَانَ عَلَمًا كَجْرًا لِمَا حَصَلَ

(42) البرد: المقتضب، ج1، ص89.

(43) ابن السراج، الأصول في النحو، ج3، ص132.

(44) ابن السراج: الأصول في النحو، ج2، ص447.

(45) الرماني، شرح كتاب سيبويه، ص252، 339، 769.

(46) الفارسي، التعليقية على كتاب سيبويه، ج3، ص53، 264، ج4، ص264.

(47) ابن الوراق، علل النحو، ص510.

(48) السيرافي، شرح كتاب سيبويه، ج1، ص137، ج3، ص143، ج4، ص144، 117.

(49) الحريري، ملحة الإعراب، ص19.

له من التّنكير بالتشيّة. وَتَلْحُقُ النُّونُ بِهَا قَدْ ثُنِيَ مِنَ الْمَفَارِيدِ لِحِبْرِ الْوَهْنِ، وهذه النُّونُ بِهَا جَبْرٌ لِما حَصَلَ لِلمُفرِّدِينَ مِنِ الْضَّعْفِ؛ لِسُقُوطِ الْحَرْكَتَيْنِ وَالتَّنْوينِ لِفَظًا أو تقدِيرًا⁽⁵⁰⁾.

لقد بَرَزَ هَذَا الْمَصْطَلِحُ عِنْدَ ابْنِ الْخَشَابِ (ت: 567هـ⁽⁵¹⁾)، وَاسْتَعْمَلَهُ الْعَكْبَرِيُّ (ت: 616هـ) فِي تَعْلِيلِهِ لِجَمْعِ السَّلَامَةِ فِي بَعْضِ الْأَلْفَاظِ⁽⁵²⁾. وَكَذَلِكَ اسْتَعْمَلَ الْعَكْبَرِيُّ مَصْطَلِحَ الْعَوْضِ مَقْتَرَنًا بِالْوَهْنِ فِي تَفْسِيرِهِ (عِدَّةَ) وَنَظَائِرِهِ⁽⁵³⁾، وَعَاقَبَ بَيْنِ مَصْطَلِحِيِ الْوَهْنِ وَالْضَّعْفِ فِي التَّعْبِيرِ عَنِ الْوَهْنِ فِي بُنْيَةِ الْفَظِّ، وَقَدْ شَاعَ مَصْطَلِحُ الْضَّعْفِ أَكْثَرَ مِنِ الْوَهْنِ عَنْهُ، وَاسْتَعْمَلَ الْجَبْرُ وَالْعَوْضُ عَلَيْتَيْنِ لِإِصْلَاحِ الْخَلْلِ النَّاتِجِ عَنِ الْوَهْنِ⁽⁵⁴⁾.

بَرَزَ مَصْطَلِحُ الْجَبْرِ عِنْدَ ابْنِ الْخَبَازِ (ت: 639هـ) فِي حَدِيثِهِ عَنِ بَنَاءِ الْفَعْلِ لِلْمَجْهُولِ "إِنْ كَانَ ماضِيًّا ضُمِّ أَوْلَهُ وَكُسِّرَ مَا قَبْلَ آخِرِهِ كَقُولُكَ: ضُربَ وَشُتِّمَ أَمَّا ضُمِّ الْأُولَى فَهُوَ جَبْرٌ لِلْوَهْنِ الْحَادِثِ بِحَذْفِ الْفَاعِلِ"⁽⁵⁵⁾. وَبَرَزَ عِنْدَ السَّخَاوِيِّ (ت: 643هـ) فِي حَدِيثِهِ عَنِ جَمْعِ (قُلْة) وَأَمْثَالِهَا بِالْوَاوِ وَالنُّونِ جَبْرًا لِمَا فِيهَا مِنْ الْوَهْنِ⁽⁵⁶⁾. وَالَّذِي نَطَمَنُ إِلَيْهِ أَنَّ مَصْطَلِحَ الْجَبْرِ أَخْذَ طَرِيقَهِ إِلَى الشِّيُوعِ بَعْدَ أَنْ نَظَمَ ابْنُ مَالِكَ أَفْقَيَهُ الْمَشْهُورَةَ، وَقَدْ جَاءَ فِيهَا مَصْطَلِحُ الْجَبْرِ وَتَصْرِيفَاهُ مَكْرَرًا فِي بَضَعَةِ مَوَاضِعٍ مِنْهَا قَوْلُهُ⁽⁵⁷⁾:

(50) ابن الصائغ، اللمححة في شرح الملحقة، ج 1، 192.

(51) ابن الحشاب، المرتحل (في شرح الجمل)، ص 63.

(52) العكّوري، اللباب في علل البناء والإعراب، ج 1، ص 144.

(53) العكّوري، اللباب في علل البناء والإعراب، ج 2، ص 356.

(54) انظر: العكّوري، اللباب في علل البناء والإعراب، ج 1، ص 63، 109، 212، ج 2، ص 211.

(55) ابن الخباز، توجيه اللمع، ص 128.

(56) السخاوي، سفر السعادة وسفر الإفادة، ج 1، ص 38، ج 2، ص 909.

(57) ابن مالك، أفقية ابن مالك ، ص 70-71.

جَوَازًا إِنْ لَمْ يَكُرَدُهُ أَلْفٌ
وَحَقُّ مَجْبُورٍ بِهَذِي تَوْفِيقَةٍ
فَجَبْرُهُ وَفَتْحُ عَيْنِهِ التُّزِمْ

وَاجْبُرِ بِرَدَ اللَّامِ مَا مِنْهُ حُذْفٌ
فِي جَمْعِي التَّصْحِيحُ أَوْ فِي التَّشْيَهُ
وَإِنْ يَكُنْ كَشِيهَةً مَا الْفَاعِدُمْ

وقال في (شرح الكافية الشافية) ⁽⁵⁸⁾:

إِعْلَالُ لَامِهِ فَكُنْ ذَا مَعْرِفَةً
وَالرَّدُّ لِلأَصْلِ سَعِيدٌ يُعْتَبِرُ
فَذَا أَبُو بِشَرٍّ بِهِ قَدْ أَفْتَى

وَشَرْطُ جَبْرٍ عَادِمٌ الْفَاكِ (صَفَةٌ)
وَلَا تَحِدُ عَنْ فَتْحِ عَيْنِي مَا جَبْرٍ
وَفِي (رَبَّ) اسْمَاسِكَنْ إِنْ جَبَرْتَا

شاع هذا المصطلح في شروحات الألفية، مثل شرح المرادي على ألفية ابن مالك ⁽⁵⁹⁾، وشرح الشاطبي ⁽⁶⁰⁾، وشرح ابن عقيل ⁽⁶¹⁾، وكذلك برب في مصنفات ابن مالك وشروحاتها، كما في كتابه (تسهيل الفوائد) ⁽⁶²⁾، وشرح التسهيل ⁽⁶³⁾، وكتاب أبي حيّان (التذليل والتكميل) ⁽⁶⁴⁾، وكتاب ناظر الجيش (تمهيد القواعد بشرح تسهيل الفوائد) ⁽⁶⁵⁾، وغيرها. وهذا يعني أنّ مصطلح الجبر أصبح جزءاً من النّظرية النّحوية في القرن السادس الهجري تقريباً.

إنّ الذي يؤكّد شيوع هذا المصطلح وتداوّله في الدرس اللغويّ بعد القرن السادس ما يطالعنا من مواطن استعماله عند علماء هذا القرن وما بعده، فقد ورد

(58) ابن مالك، شرح الكافية الشافية، ج 2، ص 1936.

(59) المرادي: توضيح المقاصد، ج 3، ص 1460، 1464.

(60) الشاطبي: المقاصد الشافية، ج 3، ص 547، 572.

(61) ابن عقيل، شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك، ج 4، ص 164، 166.

(62) ابن مالك، تسهيل الفوائد وتكميل المقاصد، ج 1، ص 263، 264.

(63) ابن مالك، تسهيل الفوائد وتكميل المقاصد، ج 1، ص 71، 239، 240، 242.

(64) أبو حيّان، التذليل والتكميل في شرح كتاب التسهيل، ج 1، ص 275.

(65) ناظر الجيش، تمهيد القواعد، ج 4، ص 4714، 4714.

مصطلح الجبر في (شرح الكافية الشافية) لابن مالك في خمسة مواضع⁽⁶⁶⁾، وكذلك استعمله في كتابه (تسهيل الفوائد وتمكين المقاصد) في مواضع محدودة⁽⁶⁷⁾، واستعمله في (شرح التسهيل) في ستة مواضع⁽⁶⁸⁾، ومثل هذا الاستعمال يطالعنا عند المرادي في كتابه (توضيح المقاصد والمسالك بشرح ألفية ابن مالك)⁽⁶⁹⁾، ونجد استعمال هذا المصطلح عند الشاطبي يتجاوز عشرة مواضع⁽⁷⁰⁾، والقول نفسه مع ناظر الجيش في كتابه (تمهيد القواعد بشرح تسهيل الفوائد)⁽⁷¹⁾.

ثالثاً- مظاهر الجبر في تفسير بنية اللفظ:

لقد اقتنى الجبر في معظم مواضعه بالوهن والضعف في بنية الكلمة، وهذا الوهن علة يحتاج إلى وسيلة للتخلص منه، فكان الجبر هو الوسيلة الكفيلة بإصلاح بنية اللفظ، ومن مظاهر الجبر في بنية اللفظ ما يلي:

1 - الجبر في باب الجمع:

ظهر الوهن في باب الجمع في تفسير جمع الألفاظ جمعاً مذكراً سالماً، وهي فاقدة لشرطه، كما في جمع (قلة)، وقد عبر العكري عن هذه العلة المجوزة بقوله: "وَأَمَّا قُلْةٌ وَبُرْةٌ فَجَمِعْتُ جَمِيعَ السَّلَامَةِ جِبْرًا لَهَا مِنَ الْوَهْنِ الدَّاخِلِ عَلَيْهَا بِحَذْفِ لَامَاتِهَا، وَهَذِهِ عَلَةٌ مَحْوَرَةٌ لَا مُوجَبةً؛ أَلَا تَرَى أَنَّهُمْ لَمْ يَقُولُوا فِي دِمْ

(66) ابن مالك، شرح الكافية الشافية، ج 4، ص 934، 936، 954، 958.

(67) ابن مالك، تسهيل الفوائد وتمكين المقاصد، ص 259، 263، 264.

(68) ابن مالك، شرح التسهيل، ج 1، ص 71، ج 2، ص 240، 241، 239.

(69) المرادي، توضيح المقاصد، ج 1، ص 151، ج 3، ص 475، 1460، 1516، 1464.

(70) الشاطبي، المقاصد الشافية ، ج 1، ص 67، 432، 477، ج 3، ص 16، ج 6، ص 285، 289، 572، 547، ج 8، ص 92، 108.

(71) ناظر الجيش: تمهيد القواعد، ج 1، ص 399، ج 4، ص 2012، 2011، ج 8، ص 4104، ج 9، ص 653 ، 713، 644

دمون، وغيرّوا بعضها نحو كسر السين من سينين تبيّنها على أن ذلك ليس بأصل فيها. وأمّا أرضون فجمعوها جمّ العَلَامَة جبراً لما دخلها من حذف تاء التأنيث الراجعة في التصغير⁽⁷²⁾. وهذا ما أكدّه العكريّ في موضع آخر⁽⁷³⁾.

إنّ هذا النّمط من الجبر بسبب الحذف الطّارئ على اللّفظ هو من أظهر المسائل في هذا الباب، فجبروا هذه الأسماء لّما لزمها الحذف بأن جمعوها جمّ أشرف الأسماء فصحّحوها، كما قال ابن الحشّاب⁽⁷⁴⁾، وهذا الرأي أكدّه السخاوي في (سفر السعادة)⁽⁷⁵⁾. ونصّ ابن هشام على علة الجبر في قوله: "فلمّا حذفوا من المفرد اللام، وهي الواو أو الهاء، وعوضوا عنها هاء التأنيث، أرادوا في جمع التكسير أن يجعلوه على صورة جمع المذكر السالم، أعني مختوماً بالواو والنون رفعاً، وبالباء والنون جرّاً ونصباً ليكون ذلك جبراً لما فاته من حذف اللام، وكذلك القول في نظائره وهي: عضة وعضون، وعزّة وعزون، وثبة وثبون، وقلة وقلون نحو ذلك"⁽⁷⁶⁾.

تتجاوز المسألة لفظة (قلون) إلى ما هو من نظائرها، فقد ذكر سيبويه هذه المسألة في باب العوض⁽⁷⁷⁾، إنّ هذا التعليل استقرّ في الفكر اللغويّ العربيّ في توجيه هذا النوع من الألفاظ، فقد جعلوا الجمع بالواو والنون عوضاً من حذف اللام على اعتبار أنّ الحذف مظاهر وهن، وهي مسألة عرج على القول بها معظم النحوين، فقد عبروا عنها بالتعويض⁽⁷⁸⁾، وأطال ابن جنّي التفصيل فيها، وعلّ

(72) انظر: العكريّ، الباب في علل البناء والإعراب، ج 1، ص 63، ص 114، 223.

(73) العكريّ، التبيين عن مذاهب النحوين البصريين والковفين، ص 223.

(74) ابن الحشّاب، المرتجل (في شرح الجمل)، ص 63.

(75) السخاوي، سفر السعادة وسفير الإفادة، ج 2، ص 909.

(76) ابن هشام، شرح قطر الندى وبل الصدى، ص 50.

(77) سيبويه، الكتاب، ج 3، ص 598.

(78) انظر: سيبويه، الكتاب، ج 3، ص 598، وابن الوراق، علل النحو، ص 63. وابن السراج، الأصول في النحو، ج 2، ص 446. والشاطبيّ، المقاصد الشافية، ج 2، ص 588.

جمعها على غير القياس بأن هذه أسماء مجھودة مُنتَقَصَّة، وذلك لأن لامها قد حذفت⁽⁷⁹⁾، وجعلوا لقلة نظائر في الحذف والتعويض، وكذلك فعل الشاطبي في قوله: "ولذلك غُيِّرت أوائل المفردات في الجمع فقالوا : في قُلة قِلُون، وفي ثُبَّة ثِبُون، وفي سَنَة سِنُون، والهاء فيها كلها عوض من الممحوف، ولما كانت تُحذف في الجمع أتوا بهذا الجمع المخصوص عوضاً من ذلك الممحوف"⁽⁸⁰⁾، وقد اختصر ابن يعيش القول فيها بأن الجمع بالواو والنون بغير النقص، : "اعلم أن من العرب من يجعل إعراباً ما يجمع بالواو والنون في النون، وذلك إنما يكون فيما يجمع بالواو والنون عوضاً من نصٍ لِحَقَّه، نحو قوله: سِنُون، وقُلُون، وثِبُون"⁽⁸¹⁾.

إن تعلييل العلماء لهذا الجمع جبراً له من الوهن لا نعدم مَنْ خالقه، فقد ذهب السيرافي إلى أن هذا الجمع عوض من عدم جمع هذه الألفاظ جمع تكسير، وأن التغيير في حركة بنيتها جاء لبيان مخالفتها للقياس، يقول: "ويجوز جمع ذلك بالواو والنون وليس الباب في شيء آخره هاء التأنيث أن يجمع بالواو والنون؛ لأن هذا الجمع إنما هو للمذكر مما يعقل، وإنما جمعوا هذا المنقوص بالواو والنون؛ لأنهم جعلوا ذلك عوضاً مما منعه من جمع التكسير؛ لأن جمع التكسير لا يكاد يجيء في ذلك، وغيروا مع الواو والنون والباء والنون أوله فكسروه فيما كان مضموماً كقوفهم: (قلون) و(ثبون)، وواحدتها (قلة) و(ثبة)، وفيما كان مفتوحاً كقوفهم: سِنُون"⁽⁸²⁾.

إن تعلييل الكسر في هذه الألفاظ لمخالفتها للقياس مذهب قال به المبرد من قبل، يقول: "ألا ترى أنهم لما جمعوا منقوص المؤنث بالواو والنون غيروا أوائله؟

(79) ابن جيني، سر صناعة الإعراب، ج2، ص 248.

(80) الشاطبي، المقاصد الشافية في شرح الخلاصة الكافية (شرح ألفية ابن مالك)، ج1، ص 188.

(81) ابن يعيش، شرح المفصل، ج3، ص 227.

(82) السيرافي، شرح كتاب سيبويه، ج4، ص 327.

ليكون التّغيير دليلاً على خروجه من بابه، وذلك قوله: سَنَةٌ ثُمَّ تقول: سِنُون فتكسر السّين، وكذلك قُلَّةٌ وقِلُون".⁽⁸³⁾

لقد كان للجريمي رأي آخر في هذا الجمع، فهو يرى المسألة من زاوية دلالية، فقد نقل عنه السيرافي "أنَّ الجمع بالألف والتاء في هذا للقليل، وبالواو والنون للكثير تقول: هذه ثُبات قليلة وثبوت كثيرة، والدليل عندي على صحة ما قلت: إِنَّمَا إِذَا صَغَرُوا لَمْ يَكُنُوا يَغْيِرُوا الْأَلْفَ وَالتَّاءَ يَقُولُونَ: سُنَيَاتٍ وَشُبُّيهَاتٍ وَثُبُّيَاتٍ".⁽⁸⁴⁾

إنَّ جبر الوهن يطالعنا في تعليل جمع (عِزَّة) فقد ذكر السخاوي أنَّ جمعها جمع السلامة جبراً للتوهين الحاصل فيها قياساً على نظائرها مثل (عِصَمة وَثُبَّة)، يقول: "وَجَمِيعُ الْوَلَوَادِ وَالنُّونَ لَمَّا دَخَلَهُ مِنَ التَّوْهِينِ بِالْحَذْفِ؛ كَمَا قَالَ عَزْ وَجَلَّ: ﴿فَهَمَّ الَّذِينَ كَفَرُوا قِبَلَكَ مُهْطِعِينَ، عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشَّمَالِ عِزِّيْنَ﴾ (المعارج: 36 و 37) فِي جَمِيعِهِ جَمِيعَ السَّلَامَةِ لَمَّا حُذِفَ مِنْهُ، وَهُوَ جَمِيعُ عِزَّةٍ وَأَصْلُهَا عِزَّةٌ؛ لِأَنَّهُمْ قَبَائِلٌ تَعْتَزِيُ كُلُّ قَبِيلَةٍ إِلَى غَيْرِ مَنْ تَعْتَزِيُ إِلَيْهِ الْأُخْرَى".⁽⁸⁵⁾

ولم يكن الحذف سبيلاً وحيداً في الوهن في أبنية الجمع، بل طالعنا من العلماء من عد التّضعييف من مظاهر الوهن في هذه الأبنية، وهذا ما ذكره السخاوي في جمع (إِحْرَوْن)، في قوله: "إِحْرَوْن: جَمِيعَ حَرَّةٍ، زَادُوا الْهَمْزَةَ إِيْذَانًاً باسْتِحْقَاقِهِ التّكْسِيرِ، وَأَنَّهُ لَيْسَ لَهُ جَمِيعُ السَّلَامَةِ، كَمَا غَيَّرُوهُ بِالْحُرْكَةِ فِي (ثِبُونَ) وَ(قِلُونَ)، وَإِنَّمَا جَمِيعَ (حَرَّةٍ) هَذَا الْجَمِيعُ جَبْرًا لَمَّا دَخَلَهُ مِنَ الْوَهْنِ بِالْتَّضْعِيفِ، ثُمَّ لَمْ يَتَمَّمْ لَهُ كِبَالُ السَّلَامَةِ، فَزَادُوا الْهَمْزَةَ".⁽⁸⁶⁾

(83) المبرد، المقتضب، ج 2، ص 166.

(84) السيرافي، شرح كتاب سيبويه، ج 4، ص 328.

(85) السخاوي، سفر السعادة، ج 1، ص 335.

(86) السخاوي: سفر السعادة وسفر الإفادة، ج 1، ص 38.

سبق ابن جنّي السّخاوي إلى القول بأنّ الجمع بالواو والنون في هذه اللفظة عوض من التّضعيف والإدغام، يقول: "ألا تراهم كيف جمعوا حرّة بالواو والنون فقالوا: إحرون؛ لأنّ العين أعلت بالإدغام، فعوضوا من ذلك الجمع بالواو والنون. وله نظائر فاعرفه"⁽⁸⁷⁾. فالذى عَبَّر عنـه ابن جنّي بالعوض قاله السّخاوي بالجبر.

لقد عَدَّت (إحرون) من نظائر (قلون) و(أرضون) وأمثالها من حيث اعتبار التغييرات ضرباً من التعويض فيها، يقول الزمخشري: "الإحرون: جمع حرّة، وزيادة الهمزة فيه بمنزلة الحركة في (أرضون) وكتغير الصدر في (ثيون) و(قلون) كراهة أن تكون بمنزلة ما الواو والنون له في الأصل ك(مسلمون). ويقال: حُرون كما قيل: قُلون، بغير تغيير تنزيلاً للواو والنون منزلة الألف والباء. ونظيره قول بعضهم في الواحدة : إحرة"⁽⁸⁸⁾.

وللعلماء آراء وتوجيهات كثيرة ومتفاوتة في تعلييل جمع (إحرون)⁽⁸⁹⁾، غير أنّ الثابت أنّ فكرة التعويض وجبر الخلل في اللفظ، وعدّ الإدغام مظهراً للضعف واردة في الفكر اللغوي في مرحلة مبكرة فقد جاء عن السيرافي ما نصّه: "هذا ما حكاه سيبويه عن يونس، وقد حكى الجرمي عنه: أنّهم يقولون (أَحْرُون) (بفتح الألف)، وكل ذلك شاذ ليس بالمطرد، وإنما شبّهوا (حرّة) (للإدغام الذي فيها بالمنقوص؛ لأنّ النطق بالحرفين في دفعـة واحدة فصار كحرف واحد"⁽⁹⁰⁾.

(87) ابن جنّي، الخصائص ، ج 3، ص 57.

(88) الزمخشري، الفائق في غريب الحديث والأثر، ج 1، ص 369.

(89) انظر: ابن جنّي، الخصائص ، ج 3، ص 57. السيرافي، شرح كتاب سيبويه، ج 4، ص 330. أبي حيان، التذليل والتكميل في شرح كتاب التسهيل، ج 1، ص 280، الأشموني، شرح الأشموني على ألفية ابن مالك، ج 1، ص 63،

(90) السيرافي، شرح كتاب سيبويه، ج 4، ص 330.

لقد وسّع ابن جنّي دائرة الوهن لتشمل كلّ ما هو محذوف اللام، وزاد على ذلك أنّ جعل التكسير ضرّاً من التوهين، وأنّ ما يطرأ على بنية اللفظ هو لإصلاح الخلل الطارئ على البنية بالتصريف لعنائهم باللفظ؛ "فإذا ثبت بها قدمناه أنّ هذه الأسماء محفوظة اللامات؛ فكأنّهم إنّما عوضوها الجمّع بالواو والنون مما لحقها من الجهد والحدف؛ ليكون ذلك عوضاً لها، وذلك أنّ التكسير ضرب من التوهين والتبديل والإشكال يلحق الكلمة، والجمّع بالواو والنون إنّما هو للأسماء الأعلام التي هم ببيانها معنيون، ولتصحيح ألفاظها لفرط اهتمامهم بها"⁽⁹¹⁾.

إنّ هذا التّعليل استقرّ في التوجيه اللغوي عند العلماء وإن كان التعبير عنه متفاوتاً، فابن هشام يدخل كلّ هذه النظائر في باب جبر الحذف، يقول: "وألا ترى أنّ سنة أصلها سنوأ أو سنة؛ بدليل قوّتهم في الجمّع بالألف والتاء سنوات أو سنهات، فلما حذفوا من المفرد اللام وهي الواو أو الهاء وعوضوا عنها هاء التّائِث؛ أرادوا في جمع التكسير أن يجعلوه على صورة جمع المذكر السالم أعني مكتوماً بالواو والنون رفعاً وبالباء والنون جراً ونصباً؛ ليكون ذلك جبراً لما فاته من حذف اللام، وكذلك القول في نظائره وهي عضة وعضون، وعزّة وعزون، وثبة وثبون، وقلة وقلون"⁽⁹²⁾.

ولا نعلم تعليلاً آخر للجبر في هذه اللفظة أي (سنين) لأنّها لم تكسر فجعلوا لهذا الجمّع جبراً من التكسير، جاء في (شرح التسهيل ما نصّه): "فإنه جمّع تكسير جرى في الإعراب مجرى التّصحيح، ومعنى التعويض فيه أنّ واحده منقوص يستحقّ أن يُجبر بتكسير، كما جُبر (يد ودم) حين قيل فيها: يديّ ودميّ ودماء، فزيادة آخره زيادتاً جمّع التّصحيح عوضاً من الجبر الفائت، لأنّها

(91) ابن جنّي، سرّ صناعة الإعراب، ج 2، ص 254.

(92) ابن هشام، شرح قطر الندى وبل الصدى، ص 50.

يجعلانه شبّيها بفُعول لو كسر عليه. ولكون هذا النوع مُكْسِرًا في الحكم غُير فاؤه غالباً، فقيل في سنة: سِنون بكسر السين، وقد روي ضمّها".⁽⁹³⁾

ومن المسائل التي برزت فيها علة الجبر في باب الجمع القول بجمع سِنين جمع تكسير وإجرائها مجرى التّصحيح، ففي إعرابها وجهان: أن تعامل معاملة الجمع المذكر السالم لأنّها ملحقة به، وأن تعامل معاملة جمع التّكسير، ويقول ابن مالك في هذه المسالة: "وقولنا لغير تعويض احتراز من (سِنين) ونحوه فإنه جمع تكسير جرى في الإعراب مجرى التّصحيح، ومعنى التعويض فيه أن واحده منقوص يستحق أن يجبر بتكسير، كما جبر (يد و دم) حين قيل فيهما: يدي ودمي ودماء، فزيادة في آخره زيادتا جمع التّصحيح عوضاً من الجبر الفائت، لأنّها يجعلانه شبّيها بفُعول لو كُسر عليه، ولكون هذا النوع مُكْسِرًا في الحكم غُير فاؤه غالباً، فقيل في سنة : سِنون بكسر السين، وقد روي ضمّها".⁽⁹⁴⁾

واعتراض أبو حيّان على هذا بقوله: "فهذا غريب جداً، لأنّه من حيث هو جمع تكسير ينبغي أن يكون إعرابه بالحركات، وجعله إيماءة جمع تكسير يعارض قوله بعد ذلك :فزيد آخره زيادتا جمع التّصحيح عوضاً من الجبر الفائت لعدم التكسير، فقد حكم عليه أنه عادم التّكسير، فكيف يكون جمع تكسير عادماً للتّكسير؟ هذا متناقض. ثم قال بعد ذلك :ولكون هذا النوع مُكْسِرًا في الحكم غُير فاؤه "فخرج بقوله: مُكْسِرًا في الحكم" أن يكون جمع تكسير إلا في الحكم، وهذا كله اضطراب في الكلام".⁽⁹⁵⁾.

لقد استعرض أبو حيّان آراء العلماء في هذه المسألة، وذكر روایة عن أبي جعفر بن الباذش أنّ مذهب سيبويه هو القول بأنّ سِنين جمع سنة بالواو والنون

(93) ابن مالك، شرح التسهيل، ج 1، ص 71، وانظر: ناظر الجيش: تمهيد القواعد بشرح تسهيل الفوائد، ج 1، ص 37-38.

(94) ابن مالك، شرح التسهيل، ج 1، ص 71 .

(95) أبو حيّان، التذليل والتكميل، ج 1، ص 276.

كثين وقلين ورئتين، وهذا شيء قد كثُر في الأسماء المحذوفة اللام المؤنثة بالهاء، أعني أن تجمع بالواو والنون، لأن هذه الجمع له مزية وبابه ما يعقل، فجعل في هذا الباب عوضاً من لام الفعل المحذوفة. وروى أن بعض أصحابنا أبي البغداديين ذهبوا إلى أن سنين اسم جمع، وليس بجمع سلامة لتغيير لفظ سنة، ولا جمع تكسير؛ لكونه غير مطرد في نظائره نحو هنة وشفة، وقال: إن الذي أذهب إليه أن سنيناً وبابه مما شاع فيه هذا الجمع مما لم يكسر أنه جمع سلامة، وإن كان قد فاته بعض شروط ما ينقاس فيه جمع السلامة في المذكر⁽⁹⁶⁾.

لقد كان الوهن حاضراً في مبدأ المطابقة وعدمها في باب الجمع عند وصفه، وكان الجبر وسيلة للتعويض، ف"الأفضل في جمع القلة مما لا يعقل، وفي جمع العاقل مطلقاً المطابقة؛ نحو: الأجزاء انكسرت ومنكسرات، والهندسات والهندود انطلقن ومنطلقات، والأفضل في جمع الكثرة مما لا يعقل الإفراد؛ نحو: الجذوع انكسرت ومنكسرة"⁽⁹⁷⁾. وشرح الصبان هذا بقوله: "وجه ذلك بأن العاقل منظور إليه فاعتني بشأنه في المطابقة بخلاف غيره. وطوبق جمع القلة لغير العاقل جبراً للقلة". وقال شيخنا السيد: المطابقة في جمعي العاقل وجمع القلة لغيره على الأصل، وعدمها في جمع الكثرة لغيره؛ لأنّه لانحطاطه عن العاقل في حكم المفرد بالنسبة إليه، ولم يراع ذلك في جمع القلة جبراً للقلة"⁽⁹⁸⁾. وقد ورد هذا التعليل أخذًا بمبدأ الجبر لما حصل في القلة من نقص عند علماء آخرين غير الشاطبي⁽⁹⁹⁾.

لقد بربز الجبر في جمع ما حقّه أن يجمع على (فعاليل) ولكنه جاء من باب (مفاعيل)، فقيل إن التاء عوض من الياء المحذوفة، نحو زناديق وزنادقة،

(96) أبو حيّان، التذليل والتكميل، ج 1، ص 276.

(97) الصبان، حاشية الصبان على شرح الأشموني لألفية ابن مالك، ج 1، ص 29.

(98) الصبان، حاشية الصبان على شرح الأشموني لألفية ابن مالك، ج 1، ص 29.

(99) العشيمين، شرح ألفية ابن مالك، ج 1، ص 24.

وبطاريق وبطارقة، ودهاقين ودهاقنة، وثمة أمثلة كثيرة من هذا الباب⁽¹⁰⁰⁾، لقد تراوحت أراء العلماء في تعليم لاحقة التاء بين القول بالإبدال، أو التعويض من الياء الممحوفة، فقد عدّها الرضي من البدل⁽¹⁰¹⁾، وعدّها جهور النحاة من العوض⁽¹⁰²⁾، وهذه مسألة تناولها الحموز بتفصيل يعني عن التكرار، وقد فصل ابن جني⁽¹⁰³⁾ القول في هذه المسألة بقوله: "وتقول في تاء زنادقة: إنّها عوضٌ من ياء زناديق، ولا تقول: بدل"⁽¹⁰⁴⁾. وتابعه في ذلك السيوطي⁽¹⁰⁵⁾.

إنّ الذي يعنيها من هذه اللاحقة الفنولوجية إنّها فسرت بمنع الإخلال باللفظ، فقد حملوا هذه التاء في (زنادقة) على التاء التي زيدت في (يا أبٍ وأمت)، يقول الشاطبي: "ويريد أنّ الأب، والأم هما المختصان بهذا الحكم، وهو إلحاد التاء لها عوضاً من ياء المتكلم، وذلك أنّ الأصل: يا أبي، ويا أمي، إلا أنّه كثُر في أسلوبهم، واستعملوها كثيراً، فحذفوا الياء على عادتهم، فكأنّهم أرادوا ألا يخلوا بالاسم حين حذفت الياء منه، فألحقوها التأنيث من ذلك الممحوف، كما أتوا بها في (الزنادقة) عوضاً من ياء (زناديق)"⁽¹⁰⁵⁾.

إنّ الإخلال الذي يقتضي الجبر مسألة غير مستبعدة في هذه الألفاظ التي عوضوا عنها بالتاء، فالجمع القياسي فيها زناديق، ولو حذفنا الياء دون تعويض لأصبح اللفظ (زنادق) وهو من أبنية الجمع، ولكنّهم عوضوا الياء بالتاء لئلا يحذف من اللفظ ما فيه دلالة صرفية ذات معنى دون أن يعوضوا الممحوف، لقد اعتبر العلماء بعض الحروف الزائدة في حكم الحروف الأصلية من حيث عدم جواز حذفها؛ لأنّ حذفها إخلال ببنية اللفظ قد يؤدي إلى الإخلال بمعناه، وقد

(100) انظر: الحموز، ظاهرة التعويض في العربية، ص 26-28.

(101) الإسترابادي، شرح شافية ابن الحاجب، ج 2، ص 189.

(102) الشاطبي، المقاصد الشافية، ج 5، ص 345.

(103) ابن جني، الخصائص، ج 1، ص 266.

(104) السيوطي، الاقتراح في أصول النحو وجدله، ص 58.

(105) الشاطبي، المقاصد الشافية، ج 5، ص 345.

أفرد سيبويه أكثر من باب لما تكون فيه الزوائد بمنزلة ما هو من نفس الحرف، ويُنَّ فيه عدم جواز حذف ما هو في حكم الزائد كما في "قولك في فَنُورٍ: يا قنُوراً أقبل، وفي رجل اسمه هَبَيْخٌ : يا هَبَيْخٌ أَقْبَلٌ؛ لأنَّ هذه الواو التي في فنُورٍ، والياء التي في هَبَيْخٌ، بمنزلة الواو التي في جَدْوَلٍ، والياء التي في عَثِيرٍ.... فأجرروا هذه الزوائد بمنزلة ما هو من نفس الحرف، فكرهوا أن يحذفوها إذ لم يحذفوا ما شبُّهُوها به وما جعلوها بمنزلتها. ولو حذفوا من (سُمَيْدَع) حرفين لحذفوا من (مُهَاجِر) حرفين فقالوا : يا مُهَا، وهذا لا يكون، لأنَّه إِخْلَالٌ مُفْرَطٌ بِهَا هو من نفس الحرف"⁽¹⁰⁶⁾.

إنَّ الذي يدعونا إلى الاطمئنان إلى أنَّ هذه اللاحقة جاءت لإصلاح الخلل الحاصل بحذف الياء ما ذكره ابن جنِّي في هذه المسألة ونظائرها من مسائل التَّعْوِيس، يقول: "وَأَمَّا الحرف الزائد عوضاً من حرف زائد فكثير؛ منه التاء في فَرَازِنَةٍ وَزَنَادِقَةٍ وَجَحَاجِحةٍ، لحقت عوضاً من ياء المد في زَنَادِيقٍ وَفَرَازِينٍ وَجَحَاجِيجٍ. ومن ذلك ما لحقته ياء المد عوضاً من حرف زائد حذف منه نحو قولهم في تكسير مُدْحَرِجٍ وتحقيره: دَحَارِيجٍ وَدُحَيْرِيجٍ، فالياء عوضٌ من ميمه. وكذلك جَحَافِيلٍ وَجُحَيْفِيلٍ، الياء عوضٌ من نونه، وكذلك مَغَاسِيلٍ وَمُغَيْسِيلٍ، الياء عوضٌ من تاءه. وكذلك زَعَافِيرٍ، الياء عوضٌ من ألفه ونونه"⁽¹⁰⁷⁾.

2 - الجبر في باب الجمع:

كان الجبر حاضراً في تعليل التشنية، فقد علل العلماء زيادة نون المشتى جبراً للوهن الذي يلحق المفرد، يقول الحريري: "تقول: زيدُ لايُسْ بُرَدِينٍ، وحالدُ مُنْطَلِقُ الْيَدِينِ، وتَلَحَّقُ النُّونُ بِهَا قَدْ ثُنِيَ مِنَ الْمَفَارِيدِ لِحَبِرِ الْوَهْنِ"⁽¹⁰⁸⁾. وفَسِّر ابن

(106) سيبويه، الكتاب، ج 2، ص 260-261.

(107) ابن جنِّي، الخصائص، ج 2، ص 304.

(108) الحريري، ملحة الإعراب، ص 19.

الصائغ ذلك بأنّ هذه النّونُ بها جُبْرٌ لِما حَصَلَ للمفردِين من الضعف؛ لسقوط الحركتين والتنوين لفظاً أو تقديرًا⁽¹⁰⁹⁾.

وهذا تعليل العلماء لزيادة النون في باب المثنى استقر في النظرية النحوية، فالنون عوضٌ عن التنوين في الاسم المفرد عند بعض العلماء، لأنّ أصله زيدٌ، فلما أُلحق به الألف حذف منه التنوين، وهذا التنوين له وظيفة للدلالة على تمكّن الاسم في باب الاسمية؛ بحيث لم يشبه الفعل فيمنع من الصرف، ولا الحرف فيمنع الإعراب، فإذا حذف حصل إجحاف وضعف في بنية الاسم، فلا بدّ من التّعويض، فجاءت النون عوضاً من التنوين⁽¹¹⁰⁾.

وكان التفاوت واضحاً بين العلماء في توجيه هذه النون في المثنى وتعليلها، وهي مسألة أوفى القول فيها الأنباري، يقول: "فذهب سيبويه إلى أنّها بدل من الحركة والتنوين؛ وذهب بعض النحوين إلى أنّها تكون على ثلاثة أضرب، فتارة تكون بدلًا من الحركة والتنوين، وتارة بدلًا من الحركة دون التنوين، وتارة تكون بدلًا من التنوين دون الحركة، فأمّا كونها بدلًا من الحركة والتنوين ففي نحو (رجلان، وفرسان)، وأمّا كونها بدلًا من الحركة دون التنوين ففي نحو: (الرجالان، والفرسان)، وأمّا كونها بدلًا من التنوين فقط ففي نحو: (رحيان، وعصوان). وذهب بعض الكوفيين إلى أنّها زيدت لفارق بين التثنية، والواحد المنصوب في نحو قوله: رأيت زيداً"⁽¹¹¹⁾.

وثمة مسألة أخرى في باب المثنى كان الجبر حاضراً في تعليلها، وهي دخول (أل) التعريف على المثنى، يقول ابن الصائغ: "ويلتحق الألفُ واللامُ

(109) انظر: ابن الصائغ، اللῆمة في شرح الملحقة، ج 1، ص 192.

(110) الحازمي، شرح الدرة اليتيمة، ج 4، ص 12.

(111) الأنباري، أسرار العربية، ص 65.

بأول المثنى إذا كان علماً جبراً لما حصل له من التّنكير بالثّنية⁽¹¹²⁾. فالعلم المثنى نكرة في العرف النّحوي، وبالتالي اعتراه ضعف في الدّلالة على العلميّة، فأصلحوا ذلك بالتعريف بـ(أل) جبراً لهذا الضعف، وقد بُرِزَ هذا التّعليل في زيادة اللام في باب جبر العلميّة الغائبة. يقول الشّاطبي: "وكذلك (أل) التي يجبر بها فقد العلميّة نحو: (الزيدان، والزيدون، والهندات)، فلا تقول: يا أيها الزيـدان، أو الـزيدون، ولا: يا أيتها الـهندات، ولا ما كان مثل ذلك"⁽¹¹³⁾.

وتُبرِزُ علة الخبر في باب التّثنية في مسألة تضييف نون التّثنية، فأصل هذه النون التّخفيف، ويُجْزِئُ تشدیدها، ويوجد على ذلك قراءات واستعملات لغوية جاءت عن العرب ذكرها الشّاطبي⁽¹¹⁴⁾، وجاء التّشدید في الاسم الموصول المثنى (اللذين، واللتين) وفي اسمٍ بالإشارة (هذين وهاتين) وعُلِّمَ ذلك بأنّه جبر لما حصل من حذف في هذه الأسماء عند التّثنية، يقول الصّبان: "ويعني أنّ العرب قصدت بهذا التّشدید أن تعرّض من الحرف المحذوف في التّثنية؛ فإنّ الياء تحذف وجوباً من الذي والتي، وكذلك الألف من (هذان وهاتان). فارادوا أن يجعلوا التّشدید في ذلك كالعوض مما حذفوا جبراً له، والعوض يقوم مقام المعوض منه حتى كأنّه موجود"⁽¹¹⁵⁾. إنّ القول بالخبر هو في الأصل لابن مالك في قوله: "وزعم قوم أنّ من قال (ذائق) بتشدید النون قصد ثنية (ذلك). ويبطل هذا القول جواز التّشدید في نون (ذين وتين) بل التّشدید جابر لما فات من بقاء الألف التي حقّها ألا تُحذف، كما لا تُحذف ألف المقصور. ويويد صحة هذا

(112) ابن الصائغ، اللّمحة في شرح الملحمة، ج1، ص192.

(113) الشّاطبي، المقاصد الشافعية، ج5، ص318.

(114) انظر: الشّاطبي، المقاصد الشافعية، ج1، ص430-431.

(115) الشّاطبي، المقاصد الشافعية، ج1، ص432.

الاعتبار جواز تشديد نون (اللذين واللتين) ليكون **جابراً** لما فات من بقاء ياء (الذي والتي) كما تبقى ياء المقوص حين **يُنْتَهِي**⁽¹¹⁶⁾.

اعترض أبو حيّان على علة الجبر في هذه المسألة "وقوله: بل التشديد **جابر**, لو كان **جابراً** لكان لازماً؛ لأنّ حذف ألف (ذا و تا) في التثنية، و ياء (الذي و التي) (في التثنية لازم، فوجب أن يكون الجابر لازماً، فكونه جاء جائزأً دليلاً على أنه ليس بجابر، فبطل ما زعم. و تقدّم لنا أنّ البصريين لا يحيّزون تشديد النون مع الياء في حالة النصب والجر، وإذا كان المثنى في حالة البعد التزموا الإبدال، فقالوا: ذينيك و تينيك، ولا يحيّزون تينك ولا ذينك بالتشديد"⁽¹¹⁷⁾.

ويعدّ من باب التثنية ما ذكره العلماء في مسألة بناء (معاً أو نصبها) ففي قولهم: جاء الزيدان معاً، ورأيت العمررين معاً، فقد اختلف العلماء في فتحة العين من (معاً) فقيل: هي فتحة إعراب كفتحة دال رأيت يداً، فيكون الاسم ثنائي اللفظ في حالي الإفراد والإضافة، وقيل: هي كفتحة ياء فتى، فيكون الاسم قد جُبِر و قُصِر حين أُفرِد، والأول مذهب سيبويه والخليل⁽¹¹⁸⁾، والرأي الثاني مذهب يونس والأخفش، وهو الصحيح عند ناظر الجيش، لأنّهم يقولون: الزيدان معاً والعمرون معاً، فيقعون (معاً) موقع رفع كما توقع الأسماء المقصورة⁽¹¹⁹⁾.

والنصّ التالي على طوله لابن مالك يفسّر أبعاد الجبر في تعليل هذه المسألة، يقول: "مقتضى الدليل كون الإفراد مظنة جبر ما غير من الثنائيات في إحدى حالتيه؛ لأنّ ثانٍ جزأٍ ذي الإضافة متّمٌ لأولهما، ولذلك عاقب التنوين

(116) ابن مالك، شرح التسهيل، ج 1، ص 240-241.

(117) أبو حيّان، التذليل والتكميل في شرح كتاب التسهيل، ج 3، ص 187.

(118) سيبويه، الكتاب، ج 3، ص 386-387.

(119) ناظر الجيش، تمهد القواعد، ج 4، ص 2011. وانظر هذه المسألة في: ابن الدهان، الغرة في شرح اللمع، ج 1، ص 321-322.

ونوني التثنية والجمع، بخلاف المنقوص المفرد فلا متّم له إلا ما يجبر به من ردّ ما كان مخدوفاً منه، فإذا جعلناه (معاً) منقوصاً في الإضافة مقصوراً في الإفراد، فعلنا بمقتضى الدليل وسلكنا سواء السبيل، بخلاف باب (أب) فإنّ فيه شذوذًا، ولذلك لم تجرّ العرب فيه على سننٍ واحد، فمنهم من يلزمهم الجبر ويحلّقه بباب عصا، ومنهم من يلزمهم النقص ويحلّقه بباب (يد)، وأيضاً ففي الحكم بأنّ (معاً) غير ملازم النّقص بيان لاستحقاقه الإعراب؛ إذ لا يكون بذلك موضوعاً موضع الحروف الثنائيّة، بخلاف الحكم عليه بالنّقص في حالي إفراده وإضافته؛ فإنّه يلزم منه استحقاق البناء كسائر الأسماء الثنائيّة دائمًا دون جابر، ومع ذلك فقد ألغت ربعة جبره في الإفراد؛ لأنّه جبر لم يتمّحض ولذلك لم يتّفق على الاعتراف به بخلاف جبر باب يدٍ، فيقال في اللغة الرابعية: ذهبت مع أخيك ومع ابنك، بالسكون قبل حركة، وبالكسر قبل سكون، وببعضهم يفتح قبل السكون، هكذا روى الكسائي عن ربعة⁽¹²⁰⁾.

3 - الجبر في باب الجمع:

لقد ذكرت سابقاً أنّ ثمة تلازمًا بين الوهن حكمًا والجبر وسيلة وعلة، ويطالعنا هذا في مسائل من تشكيل بنية الفعل في العربية، ومن أمثلة ذلك ما ذكره العلماء من أنّ الزيادة إذا لحقت الأفعال حصل لها ضرب من الوهن، جاء في (الخصائص): "ومن ذلك قولهم: اطمأن. ذهب سيبويه فيه إلى أنّه مقلوب، وأنّ أصله من (طَمِنَ)، وخالفه أبو عمر (الجريمي) فرأى ضدّ ذلك. وحجّة سيبويه فيه أنّ (طَمِنَ) غير ذي زيادة، واطمأنّ ذو زيادة، والزيادة إذا لحقت الكلمة لحقها ضرب من الوهن لذلك، وذلك لأنّ مخالطتها شيء ليس من أصلها مزاحمة لها وتسوية في التزامه بينها وبينه، وهو إن لم تبلغ الزيادة على الأصول

(120) ابن مالك: شرح التسهيل، ج2، ص241. وانظر النّص نفسه في: ناظر الجيش: تمهيد القواعد، ج4، ص2012.

فُحش الحذف"⁽¹²¹⁾. لقد استقر في الفكر النحوّي عند ابن جنّي أنَّ الزيادة ضرب من الضعف والتوهين للفظ وعبر عن ذلك في قوله: "إِنَّ الْزِيادةَ فِي الْكَلْمَةِ تَوْهِينٌ لَهَا؛ لَأَنَّهُ قَدْ دَخَلَ فِيهَا مَا لَيْسَ مِنْهَا، وَآخِرُ الْكَلْمَةِ بِالتَّوْهِينِ أَحْقُّ مِنْ أَوْلَاهَا"⁽¹²²⁾.

وتبرز مسألة جبر الوهن في تشكيل بنية الفعل في تفسير لفظة (اسطاع) فرأى سيبويه أنَّ السين عوض من حركة عين الفعل في (أطوع يطوع)، وقد ردَّ المبرّد، وقال: "إِنَّمَا يُعَوَّضُ مِنَ الشَّيْءِ إِذَا كَانَ مَعْدُومًا، وَالْفَتْحَةُ هَا هَا مَوْجُودَةُ، وَإِنَّمَا نُقْلِتُ مِنَ الْعَيْنِ إِلَى الْفَاءِ، وَلَا مَعْنَى لِلْتَّعْوِيْضِ عَنْ شَيْءٍ مَوْجُودٍ، بَلْ يَكُونُ جَمِيعًا بَيْنَ الْعَوْضِ وَالْمُعَوْضِ، وَهُوَ مُمْتَنِعٌ"⁽¹²³⁾. ويفسر ابن جنّي رأي سيبويه ويعمله، ويرد قول المبرّد ويصفه بأنه غالط، وأنَّ هذا من عادته، ويتخذ من مسألة الوهن مدخلًا في الاحتجاج لرأي سيبويه⁽¹²⁴⁾. ويقول ابن يعيش متصرًا لرأي سيبويه وابن جنّي: "وَهَذَا لَا يَقْدَحُ فِيمَا ذَهَبَ إِلَيْهِ سِيبُوَيْهُ؛ لِأَنَّ التَّعْوِيْضَ إِنَّمَا وَقَعَ مِنْ ذَهَابِ حَرْكَةِ عَيْنِ الْفَعْلِ مِنَ الْعَيْنِ، لَا مِنْ ذَهَابِ الْحَرْكَةِ الْأَلْبَتَةِ. وَذَلِكَ أَمْثَمٌ لِمَا نَقْلَوْا الْحَرْكَةَ مِنَ الْعَيْنِ إِلَى الْفَاءِ السَّاكِنَةِ، وَقَلَبُوا الْعَيْنَ الْأَلْفَاءِ، لَحَقَ الْعَيْنَ تَوْهِيْنٌ وَتَغْيِيرٌ، وَصَارَ مُعَرَّضًا لِلْحَذْفِ إِذَا سَكَنَ مَا بَعْدَهُ، نَحْوَ "أَطَعَ" فِي الْأَمْرِ، فُعُوْضُ السِّينِ مِنْ هَذَا الْقَدْرِ مِنَ التَّوْهِينِ، وَهَذَا تَعْوِيْضٌ جَوَازٌ لَا تَعْوِيْضٌ وُجُوبٌ"⁽¹²⁵⁾.

فالوهن الحاصل في بنية الأصل الافتراضي لـ (اسطاع) مبرّر بجبر الفعل وتعويض الحركة الغائبة من عين الفعل بالسين، وهو تعويض يتطلب إصلاح

(121) ابن جنّي، الخصائص، ج 2، ص 76.

(122) ابن جنّي، المنصف، شرح كتاب التصريف، ص 88.

(123) ابن يعيش، شرح المفصل، ج 5، ص 344.

(124) ابن جنّي، سر صناعة الإعراب، ج 1، ص 213.

(125) ابن يعيش، شرح المفصل، ج 5، ص 344. وانظر: رأي ابن جنّي في: سر صناعة الإعراب، ج 1، ص 213.

اللفظ ومنع الإجحاف به، وهذه مسألة نصّ عليها بعض العلماء صراحة، وذكروا أنّهم إنما زادوا السين في (أطاع يطيع) ليكون جبراً لما دخل الكلمة من التغيير⁽¹²⁶⁾، ومنهم من عَبَر عن الجبر فيها بمصطلح التّعويض⁽¹²⁷⁾.

وقد تجاوز هذا الإصلاح لفظة اسطاع إلى لفظة (اهراق)، فقد ذهب العلماء إلى إنّ الهماء عوض من ذهاب حركة العين، يقول ابن يعيش: "اعلم أنّهم قالوا": أهراق، وهراق. فمن قال: هراق؛ فالماء عنده بدلٌ من همزة (أراق) على حدّ: هردتْ أن أفعلَ في : أردتُ ونظائره على ما سذكر، ومن قال : أهراق فجمع بين الهمزة والهماء، فالماء عنده زائدة كالعوض من ذهاب حركة العين، على حدّ صنيعهم في (أسطاع)⁽¹²⁸⁾.

لقد تفاوت توجيهات العلماء وتعليلاتهم في (اهراق) وكان الوهن الذي يقتضي الجبر بارزاً في التوجيه والتعليق، وجعلها العلماء من نظائر (اسطاع) في تفسير تشكيل هذه اللفظة، ويبدو لي أنّ مسألة اللهجات وتعديدها سبب رئيس في وجود هذا النمط، وهي مسألة نصّ عليها طائفنة من العلماء⁽¹²⁹⁾. ومن الجدير ذكره أنّ إبدال الهمزة هاء جبراً للفظ له نقىض في أبنية الأسماء ماثل في إبدال الهماء همزة، فقد قيل: أصل (آل) أهل قلب الماء همزة، كما قلبت الهمزة هاء في (هراق)، والأصل (أراق)، وعلل الصّبان ذلك بالجبر، ورأى أنّهم قصدوا بقلب الماء همزة جبراً لضعفه، كما قلبت الماء همزة في (ماءٍ) (وشاءٍ) بسبب ضعفهما الحالـلـ بـقـلـبـ عـيـنـهـاـ أـلـفـاـ؛ لأنـّـ الـهـمـزـةـ أـقـوىـ منـ الـهـمـاءـ⁽¹³⁰⁾.

(126) ديكنوز، شرح على مراح الأرواح في علم الصرف، ص 97.

(127) العكبري، اللباب في علل البناء والإعراب، ج 2، ص 277.

(128) ابن يعيش، شرح المفصل، ج 5، ص 344.

(129) ابن السراج، الأصول في النحو، ج 3، ص 229، والستيري، شرح كتاب سيبويه، ج 1، ص 184، وابن جنّي، سر صناعة الإعراب، ج 1، ص 214، وابن القطّاع، أبنية الأسماء والأفعال والمصادر، ص 104، 324، وابن يعيش: شرح المفصل، ج 5، ص 344.

(130) الصّبان، حاشية الصّبان على شرح الأشموني، ج 1، ص 20.

لقد كان الجبر حاضرًا في تعليل ضم فاء الفعل المبني للمفعول، "فإن كان ماضياً ضم أوله، وكسر ما قبل آخره، كقولك: ضرب وشتم. أمّا ضم الأول فهو جبر للوهن الحادث بحذف الفاعل، وأمّا كسر ما قبل آخره فللفرق بينه وبين المضارع"⁽¹³¹⁾. وكذلك كان حاضرًا في تعليل اختصاص الفعل المضارع بالجزم، فقد خص الجر بالاسم؛ لأنّ عامله لا يستقلّ؛ لافتقاره إلى ما يتعلّق به، وقيل: اختص الجر بالاسم لضعفه وتقادمه عن أن يحمل غيره عليه. وخصّ الجزم بالفعل لكونه فيه حينئذ كالعوض من الجر؛ جبراً لما فاته من المشاركة فيه⁽¹³²⁾.

إنَّ اجتماع حذفين في الفعل يقودنا إلى مسألة هاء السكت التي تدخل اللفظ لإصلاح الوهن الواقع فيه عند اجتماع الحذف من أول الكلمة وأخرها، نحو: وعي، ولم يعيه، وعيه، وقد استقرَّ في الفكر النحوِي أنَّ الهاء لإصلاح اللفظ وتحقيق قدر من البيان ومنع اللبس، يقول الشاطبي: "فلما كان كذلك أرادوا ألا تبقى الكلمة على أصل واحد ساكن، فإنك لو وقفت بغير هاء لقلت في الأمر: يا زيدُ (ع) وفي المضارع) إنْ تَشِ أَشِ (من وشيتُ، وإنْ تَقِ أَقِ (من وقيتُ، فكرهوا هذا الإجحاف؛ لأنَّه إخلال بالكلمة فألزم الهاء"⁽¹³³⁾. ونصَّ العلماء على أنَّ الهاء في قولهم: لم يعي، وأمثالها، جبرٌ لما فيها من الضعف؛ بسبب الحذف الحاصل لفاء الكلمة ولامها⁽¹³⁴⁾.

ومن مظاهر الجبر في باب الأفعال ما ذكره العلماء من حالات الفعل المضارع ودلائله الزمنية على الحال والاستقبال والماضي، وقيل: إنَّ يتراجَّح فيه الحال إذا كان مجرّداً؛ لأنَّه لما كان لكلٍّ من الماضي والمستقبل صيغة تخصّه، ولم

(131) ابن الخباز، توجيه اللمع، ص 128.

(132) الدمامي، تعليق الفرائد على تسهيل الفوائد، ج 1، ص 133.

(133) الشاطبي، المقاصد الشافية، ج 8، ص 91.

(134) الشاطبي، المقاصد الشافية، ج 8، ص 92.

يُكَنُ لِلْحَالِ صِيغَةٌ تَخْصِّصُهُ؛ جَعَلَتْ دَلَالَتِهِ عَلَى الْحَالِ رَاجِحةً، عَنْ تَجْرِيدِهِ مِنِ الْقَرَائِئِنَ؛ جَبْرًا لِمَا فَاتَهُ مِنِ الْاِخْتِصَاصِ بِصِيغَةٍ⁽¹³⁵⁾.

وَتَطَالَّعْنَا مَسَائِلَ يَكُونُ فِيهَا الْجَبْرُ عَلَّةً مَعْنَوِيَّةً لِفَظِيَّةٍ فِي الْأَفْعَالِ، وَمِنْ أَمْثَلَهُ ذَلِكَ مَا ذَهَبَ إِلَيْهِ الْعُلَمَاءُ مِنْ رَفْعِ الْفَعْلِ بَعْدِ (حَتَّى) إِنْ كَانَ حَالًا، أَوْ مَؤْوِلاً بِالْحَالِ، مُسَبِّبًا عَمَّا قَبْلَهَا، فَضْلَةً، تَمَّ الْكَلَامُ قَبْلَهُ، نَحْوُ: مَرْضٌ زَيْدٌ حَتَّى لَا يَرْجُونَهُ، فَلَا يَرْجُونَهُ حَالًا، وَمُسَبِّبًا عَمَّا قَبْلَهَا؛ لِأَنَّ عَدَمَ الرِّجَاءِ مُسَبِّبٌ عَنِ الْمَرْضِ، وَفَضْلَةٌ لِأَنَّ الْكَلَامَ تَمَّ قَبْلَهُ بِالْجَمْلَةِ الْفَعْلِيَّةِ. وَيَعْلَقُ الشِّيخُ خَالِدُ الْأَزْهَرِيُّ عَلَى هَذِهِ الْمَسْأَلَةِ: "إِنَّمَا اشْتَرَطَتِ السَّبَبِيَّةُ لِيَحْصُلَ الْرِّبْطُ مَعْنَى، وَذَلِكَ لِأَنَّهُ لَمْ يَتَعَلَّقْ مَا بَعْدَهَا بِمَا قَبْلَهَا لِفَظًا، زَالَ الاتِّصَالُ الْفَظِيُّ، فَشُرِطَتِ السَّبَبِيَّةُ الْمُوجَبَةُ لِلْاتِّصَالِ الْمَعْنَوِيِّ؛ جَبْرًا لِمَا فَاتَ مِنِ الاتِّصَالِ الْفَظِيِّ، وَإِنَّمَا اشْتَرَطَتِ الْفَضْلِيَّةُ؛ لِئَلَّا يَقْنِي الْمُبْدَأُ بِلَا خَبْرٍ"⁽¹³⁶⁾.

4 - الجُبْرُ فِي بَابِ الْجَمْعِ :

لَقَدْ كَانَ الْجُبْرُ مَدْخَلًا لِتَفْسِيرِ بَعْضِ التَّغْيِيرَاتِ الطَّارِئَةِ عَلَى بَابِ النِّسْبِ فِي الْعَرَبِيَّةِ، فِي الْأَلْفَاظِ الْمَحْذُوفَةِ الْفَاءِ، لَا يَخْلُو الْاسْمُ مِنْ أَنْ تَكُونَ لَاهُ صَحِيحَةٌ كَ(عِدَّة) أَوْ مَعْتَلَةٍ كَ(شِيَّة)، فَإِنْ كَانَتْ لَاهُ صَحِيحَةٌ لَمْ يُجْبِرْ فِي النِّسْبِ إِلَيْهِ؛ فَنَقُولُ فِي النِّسْبِ إِلَى (عِدَّة): عِدِّيُّ، وَإِنْ كَانَ الْاسْمُ مَعْتَلَّا لِلَّامِ جُبْرٌ بِرَدٌّ فَاهُ، فَنَقُولُ فِي النِّسْبِ إِلَى شِيَّةٍ وَشَوَّيِّ، عَلَى مَذْهَبِ سَيْبُوِيَّهُ؛ لِأَنَّهُ لَا يَرِدُّ الْعَيْنُ إِلَى أَصْلِهَا مِنِ السَّكُونِ، بَلْ يَفْتَحُ الْعَيْنَ مَطْلَقًا وَيُعَامِلُهُ مَعْاْمَلَةَ الْمَقْصُورِ، وَتَقُولُ عَلَى مَذْهَبِ أَبِي الْحَسْنِ: وَشَيِّ - بِرَدِ أَصْلِهِ⁽¹³⁷⁾.

لَقَدْ قَعَّدَ ابْنُ مَالِكَ ضَابِطَ الْجُبْرِ فِي هَذِهِ الْمَسْأَلَةِ فِي قَوْلِهِ:

وَإِنْ يَكُنْ كَشِيَّةٌ مَا أَلْفَانَا عَدِمٌ فَجَبْرُهُ وَفَتْحُ عَيْنِهِ التَّرْمُ

(135) السيوطي، هماع المواضع، ج 1، ص 38.

(136) الأزهري، شرح التصریح على التوضیح، ج 2، ص 374.

(137) المرادي، توضیح المقاصد والمسالک بشرح ألفیة ابن مالک، ج 3، ص 464.

لقد استغرقت هذه القاعدة آراء فئة من العلماء من حيث الجبر وعدمه، وخلاصة القول فيها ما رواه النحاس: فإن نسبت إلى (شِيَّة) (ففي ذلك ثلاثة أقوال، على قول الخليل وسيبوه، وشَوَّيٌّ، زدت في أوله الواو؛ لأنَّ أصله وشِيَّة، وحرَّكت الشَّيْن؛ لأنَّها كانت متحرِّكة في (شِيَّة)) وفتحتها لحفة الفتحة، وأبدلت من الياء وأوًّا لاجتماع الياءات. وقال الأخفش: وشِيَّة، ردُّها إلى أصلها. وعلى قول يونس: وشَوَّيٌّ، كما يقول في ظبِّيٍّ: ظبويٌّ، وغيره يقول: ظَبَّيٌّ⁽¹³⁸⁾. وقد علل ابن السراج الجبر بقوله: "وأمّا الرد فلا بد منه؛ لأنَّ لا يبقى الاسم على حرفين أحدهما حرف لين".⁽¹³⁹⁾

ويوجد مواضع أخرى في باب النَّسْب يبرز فيها الجبر للحذف غير الاسم المحذوف اللام المعوض عنها بألف الوصل، ومن ذلك ما ذكره ناظر الجيش في قوله: "لا يجبر في النَّسْب من المحذوف الفاء أو العين إلَّا المعتل اللام؛ إشارة إلى أول المواضع الثلاثة التي يجب فيها الرد وهو المحذوف الفاء كشيَّة، أو العين كمُرِّي⁽¹⁴⁰⁾ مع اعتلال اللام فيها، وقوله: فأمّا المحذوفها فيجبر بردُّها إنْ كان معتل العين؛ إشارة إلى ثاني الموضع وهو المحذوف اللام مع اعتلال العين منه، نحو: ذو، وشاه، وقوله: وكذا الصحيحها، إنْ جُبر في التَّشْيَّة والجمع بالألف والتاء إشارة إلى ثالث الموضع، وهو نحو: أب وأخت"⁽¹⁴¹⁾. ويكون الجبر في هذه الألفاظ بردُّ المحذوف في التَّصْغير، فتقول: وشَوَّيٌّ وودُّوَيٌّ، وتقول فيمن اسمه (رُبٌّ) (رُبٌّ)، وسَنَوَيٌّ أو سَنَهِيٌّ، بردُّ المحذوف، والضابط في ذلك

(138) النَّحَّاس، عمدة الكتاب، ج 1، ص 252. للمزيد: انظر: الفارسي، التعليقة على كتاب سيبوه، ج 3، ص 204. الأندلسي، ارشاد الضرب من لسان العرب، ج 2، ص 619.

(139) ابن السراج، الأصول في النحو، ج 3، ص 80. وانظر: السيوطى، همع الموامع في شرح جمع الجواب، ج 3، ص 402.

(140) قال فيها المرادي: "اسم فاعل من أرأى يرأى أصله مرأى، فاعلٌ إعلال قاضٌ، وحذف عينه وهي المهمزة بعد نقل حركتها، فإذا وقف عليها لزム ردياء ، جبراً للكلمة؛ لأنَّها لو حذفت لزم بقاء الاسم على أصل واحد في حالة الوصل أيضاً." توضيح المقاصد والمسالك، ج 3، ص 347-375.

(141) ناظر الجيش، تمهيد القواعد، ج 9، ص 4713.

جبر المذوف من هذه الألفاظ في التثنية والجمع، فما أعيد إليه المذوف في التثنية والجمع جُبر بإعادته في التصغير⁽¹⁴²⁾.

وللعلماء مذهبان في النسب إلى اللفيف المفروق "فمذهب سيبويه ألا يرد عين المجبور إلى السكون إن كان أصلها السكون، بل تفتح ويعامل الاسم معاملة المقصور إن كان معتلاً، ومعاملة جَمْل وعِنْب وصَرَد إن كان صحيحاً، كقولك في (شيء) وحرٍ : (وَشَوَّيْ وَحَرَّحِي)، ومذهب الأخفش أن ترد عين المجبور إلى سكونها، إن كانت ساكنة في الأصل، فيقال على مذهبة: وشبي وحرّحِي"⁽¹⁴³⁾.

ومن مسائل جبر الوهن في النسب إلى الاسم مذوف اللام المنسوب إليه المعوض من لامه همزة وصل، إذ يجوز أن يُجبر في النسب، وتحذف همزة الوصل كقولك في ابن بنويٍّ. ويجوز ألا يُجبر ويستصحب المهمزة، كقولك : ابنني⁽¹⁴⁴⁾.

وتتجاوز مسألة الجبر حدود ما ذكره العلماء في النسب إلى باب (شيء) إلى مظاهر أخرى من الحذف، وتجلى هذه القضية عند ابن مالك في (شرح الكافية الشافية)، "إذا كان المنسوب إليه مذوف اللام، وكان مستحقاً لرد المذوف في التثنية كـ(أخ) وـ(أب) أو في الجمع بالألف والتاء كـ("أخت) وـ(عَصَة) وجَب رد مذوفه في النسب، كقولك في (أب) : أبويٌّ، وفي (أخ و أخت)-معاً - أخويٌّ، وفي (عصَة) : عصويٌّ، فإن لم يُجبر المذوف اللام بتثنية ولا جُمِع بالألف والتاء جاز فيه منسوباً إليه الجبر وعدم الجبر، كقولك في (غِدٍ) : غَدَيٌّ وغَدَوَيٌّ، ومن قال في تثنية يدٍ : (يَدَان، قال في النسب (يَدِي))-بعدم الجبر - وـ(يَدِي) بالجبر - ومن قال : يَدِيان، لزمه أن يقول في النسب : يَدَوَيٌّ،

(142) انظر، المرادي، توضيح المقاصد، ج 3، ص 1460، والحملاوي، شذا العرف في فن الصرف، ص 112.

(143) ابن مالك، الكافية الشافية، ج 4، ص 1957-1958.

(144) ابن مالك، شرح الكافية الشافية، ج 3، ص 1461.

وإن كان المُحذوفُ اللام معتَلًّا العين، وجب جبره في النّسب كما يجب جبر (أب) ونحوه من المجبور في التّثنية، فيقال في (شَاهِي): شَاهِي⁽¹⁴⁵⁾.

لقد تجلّى الْرِّبْطُ بين الجبر في النّسب والجبر في التّثنية والجمع عند المكّودي، فإذا لم يُرِدَ المُحذوفُ في التّثنية وجمعي التّصحيح في الثّالثي المُحذوف منه اللام جاز جبره وإيقاؤه على حاله، فتقول في يَدٍ وعَدٍ وَدَمَوِيٍّ، يَدِيٌّ وَيَدَوِيٌّ، وَعَدِيٌّ وَعَدَوِيٌّ، وَدَمِيٌّ وَدَمَوِيٌّ؛ لأنّك تقول في تثنيتها: يَدَانِ وَعَدَانِ وَدَمَانِ، وفي نحو: ثُبَّةٌ ثَبَوِيٌّ وَثَبَتِيٌّ؛ لأنّك تقول في جمعها: ثُبَاتٌ بَغِيرِ رَدٍّ، وما جُبِرَ في التّثنية وجمعي التّصحيح جُبِرَ في النّسب وجوباً⁽¹⁴⁶⁾.

ربط الشّاطبيٍّ بين الجبر في النّسب والجبر في التّصغرٍ في باب شِيَةٍ؛ لأنّ البنية الصرفية لها تختلّ بدون الجبر، فغالباً ما يطرد الجبر في الصيغة في باب النّسب والتّصغر وقد يمتدّ إلى الجمع، وهذه الأبواب الثلاثة هي أبواب التأصيل للفظ، "أَمَا وَجَهَ الْجَبْرِ فَقَدْ ذَكَرَ أَنَّ الْاسْمَ الْمَسْوُبَ يَقْدَرُ قَبْلَ الْحَاقِ يَاءَ النّسْبِ كَالْمُسْتَقْلِ، وَعَلَيْهِ يَبْنِي النّسْبُ، وَإِذَا كَانَ كَذَلِكَ وَحَذَفَتِ النَّاءُ مِنْ شِيَةٍ، بَقَى الْاسْمُ عَلَى حَرْفَيْنِ، ثَانِيهِمَا حَرْفُ لَيْنِ، وَذَلِكَ لَا يَكُونُ فِي مَعْرِيَاتِ الْأَسْمَاءِ، فَافْتَقَرُوا إِلَى جَبْرِهِ لَذَلِكَ، كَمَا افْتَقَرُوا إِلَى الْجَبْرِ فِي التّصْغِيرِ؛ إِذَا لَا يَمْكُنُ فِي الْمَوْضِعِينَ إِلَّا ذَلِكَ، وَإِلَى هَذَا الْمَعْنَى أَشَارَ الْجَرْمِيُّ فِي طَرَةِ الْكِتَابِ بِقُولِهِ: الرَّدُّ فِي شِيَةٍ لَا بَدَّ مِنْهُ؛ لَأَنَّهُ يَبْقِي الْاسْمَ عَلَى حَرْفَيْنِ أَحَدُهُمَا حَرْفُ لَيْنِ".⁽¹⁴⁷⁾

وتبرز مسألة الجبر في باب التّصغر والجمع في الأسماء بِالْحَاقِ حَرْفَ الْلَّيْنِ في الْأَلْفَاظِ الْمُصْغَرَةِ أَوِ الْمَجْمُوعَةِ الَّتِي حَصَلَ فِيهَا الْحَذْفُ، فَالْاسْمُ الْمُصْغَرُ أَوِ

(145) ابن مالك، شرح الكافية الشافية، ج 4، ص 954. وانظر: المكّودي، شرح المكّودي على الألفية، ج 1، ص 351.

(146) المكّودي: شرح المكّودي على الألفية، ج 1، ص 351. وللمزيد انظر: ناظر الجيش، تمهيد القواعد بشرح تسهيل الفوائد، ج 9، ص 714.

(147) الشّاطبيٍّ، المقاصد الشافية، ج 7، ص 574.

المجموع جمع تكسير إذا حذف منه حرف واحد فأكثر، يجوز أن تعوض من المحفوظ ياءً قبل الطرف، نحو فَرِزْدَق، وَفُرِيزْدَ أو فُرِيزِيد، وإنما أتى بالياء عوضاً وجبراً لما حُذف من اللفظ⁽¹⁴⁸⁾.

إن الجبر في هذه المسألة جوازٌ لأنّ الأمر منوط بمدى تحقيق البنية للدلالة الصرفية المقصودة، فإذا كان البناء غير مختلٌ كان الجبر جوازياً، أمّا إذا كانت البنية مختللة فلا بدّ من الجبر لإصلاح اللفظ وإقامة الدلالة، وقد لمح ناظر الجيش هذه المسألة فعَبَّر عنها أصدق تعبير، فقال: "بالنسبة إلى رد المحفوظ ينقسم إلى ثلاثة أقسام: واجب الرد، ممتنعة، جائزه، أمّا وجوب الرد ففي مواضع ثلاثة أحدها: إذا كان المحفوظ غير اللام، واللام معتلة، نحو: شِيَةٌ مَا هو محفوظ الفاء، ومُرِي اسم فاعل من أرى مَا هو محفوظ العين. ثانية: إذا كان المحفوظ اللام والعين معتلة، نحو: ذُو، وشَاه. ثالثها: إذا كان المحفوظ غير اللام والعين صحيحة، ولكن اللام تردد في التثنية والجمع بالألف والتاء، نحو: أَبْ وأَخْ، وأَمّْا امتناع الرد ففي موضع واحد وهو إذا كان المحفوظ غير اللام، واللام صحيحة نحو: عِدَةٌ في المحفوظ الفاء، و(سَه) في المحفوظ العين، وأمّا جواز الأمرين أعني الرد وعدمه ففي موضوعين: أحدهما: إذا كان المحفوظ اللام والعين صحيحة، ولكن لا تردد اللام حال التثنية والجمع، نحو: دَمْ وحِرْ وسْتْ وغَدْ وشَفَةٌ ، وكذا ثُبةٌ فإن سيبويه يذهب إلى أنّ المحفوظ اللام، وأنّها ياء لقوفهم: ثَبَّتْ"⁽¹⁴⁹⁾.

(148) الشاطبي، المقاصد الشافية، ج 7، ص 285-289.

(149) ناظر الجيش، تمهيد القواعد بشرح تسهيل الفوائد، ج 9، ص 712.

الخاتمة:

خلص البحث إلى أنّ الجبر مصطلح يشكل علّة في توجيه المسائل اللغوية وبرز شائعاً في الدرس اللغويّ بعد القرن السادس الهجري، ويدلّ مفهوم هذا المصطلح على إصلاح الضّعف في بنية اللّفظ، أو التّراكيب، وفي دلالته على إصلاح الضّعف يصبح الوهن خلاّلاً في البنية يحتاج إلى الجبر وسيلة، وقد بُرِزَ هذا الخلل في بنية الألفاظ وهو موضع الدراسة، وفي التراكيب على المستوى النحوّيّ وهو ما سيكون موضع بحث لاحق بإذن الله.

لقد غاب هذا المصطلح عن الدراسات المعاصرة، وقد حاول البحث رصد تطوير استعمال هذا المصطلح في التراث النحوّيّ وإبراز مظاهر التوسيع فيه مع تقدّم الدرس اللغويّ عبر العصور المختلفة.

لقد استعمل العلماء تعبيرات للدلالة على الجبر، نحو: الجبر، ويجبر، ليجبر، جبراً، يجبرون، لإصلاح، لمنع الوهن، والفرار، وغيرها. وتنوعت مظاهر الجبر في تشكيل بنية الكلمة فبرزت في مسائل مثل: الجمع، والتّثنية، وبنية الفعل، والتّصغير، والنّسب.

لقد تنوّعت وسائل جبر الوهن بالزيادة، والتّعويض، أو ردّ المذوق، أو جبر اللّفظ بمنحه ما لا يجوز فيه نحو جمع بعض الألفاظ جماعاً سالماً، بخلاف القياس، أو الإعلال أو التّصحيح، أو المطابقة في الوصف، أو تغيير في الصيغة، بهدف إصلاح الخلل في اللّفظ وإكسابه ما يجبر وھنـه. وربّما يكون الجبر معنوياً في بعض الأحكام.

المراجع:

- الأخفش الأوسط، أبو الحسن سعيد بن مساعدة (ت 215هـ) معاني القرآن، تحقيق هدى محمود قراءة، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط 1، 1411هـ- 1990م.
- الإسترابادي، نجم الدين محمد بن الحسن الرضي (ت 686هـ): شرح شافية ابن الحاجب مع شرح شواهد للعالم الجليل عبد القادر البغدادي صاحب خزانة الأدب، حققهما، وضبط غريبهما، وشرح مبهمهما: محمد نور الحسن، محمد الزفاف، ومحمد محبي الدين عبد الحميد، دار الكتب العلمية، بيروت، 1395هـ - 1975م.
- الأشموني، أبو الحسن علي بن محمد (ت 900هـ): شرح الأشموني على ألفية ابن مالك، دار الكتب العلمية، بيروت، ط 1، 1419هـ- 1998م.
- الأنباري؛ أبو البركات كمال الدين عبد الرحمن (ت 577هـ): أسرار العربية، دار الأرقام بن أبي الأرقام، بيروت، ط 1، 1420هـ- 1999م.
- ابن إياز، الحسين بن بدر (ت 68هـ): شرح التعريف بضروري التصريف، تحقيق: هادي نهر، هلال ناجي المحامي، دار الفكر للطباعة والنشر، عمان، ط 1، 1422هـ/ 2002م.
- بشارات، أحمد سليمان، قضية القوة والضعف وأثرها في التعليل النحويّ، مجلة الثقافة والتنمية، القاهرة العدد (48)، لسنة 2011م.
- ابن جنّي، أبو الفتح عثمان (ت 392هـ): الخصائص، تحقيق: محمد علي النجار، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ط 3، 1986.
- ابن جنّي؛ أبو الفتح عثمان (ت 392هـ): سرّ صناعة الإعراب، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، 1421هـ- 2000م.

- ابن جنّي، أبو الفتح عثمان (ت 392هـ): المنصف لابن جنّي، شرح كتاب التصريف لأبي عثمان المازني، دار إحياء التراث القديم، ط 1، 1373هـ / 1954م.
- الجوّجري؛ شمس الدين محمد بن عبد المنعم (ت 889هـ): شرح شذور الذهب في معرفة كلام العرب، تحقيق نواف بن جزاء الحارثي، الجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، ط 1، 1423هـ / 2004م.
- الحازمي، أبو عبد الله، أحمد بن عمر: شرح الدرة اليتيمة، مصدر الكتاب: دروس صوتية قام بتنزيتها موقع الشيخ الحازمي <http://alhazme.net>.
- الحريري، أبو محمد القاسم بن علي (ت 516هـ) ملحمة الإعراب، دار السلام - القاهرة، ط 1، 1426هـ - 2005م.
- الحملاوي؛ أحمد بن محمد (ت 1351هـ): شذا العرف في فن الصرف، نصر الله عبد الرحمن نصر الله، مكتبة الرشد، الرياض.
- أبو حيان الأندلسي (ت 745هـ): التذليل والتكميل في شرح كتاب التسهيل، تحقيق حسن هنداوي، دار القلم - دمشق (من 1 إلى 5)، وباقى الأجزاء: دار كنوز إشبيليا، ط 1.
- ابن الخاز؛ أحمد بن الحسين: توجيه اللمع، دراسة وتحقيق: فايز زكي محمد دياب، دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة، القاهرة. ط 2، 1428هـ - 2007م.
- الراغب الأصفهاني، أبو القاسم الحسين بن محمد (ت 502هـ): تفسير الراغب الأصفهاني، جزء 1، تحقيق ودراسة: د. محمد عبد العزيز بسيوني، كلية الآداب - جامعة طنطا الطبعة الأولى: 1420هـ - 1999م ، جزء 2، 3 تحقيق ودراسة: عادل بن علي الشّدّي، دار الوطن - الرياض الطبعة الأولى: 1424هـ - 2003م، ج 4، 5، تحقيق ودراسة: د. هند بنت محمد بن زاهد سردار، جامعة أم القرى، ط 1، 1422هـ - 2001م.

- الرماني، أبو الحسن علي بن عيسى (ت 384 هـ): شرح كتاب سيبويه [جزء من الكتاب (من باب الندبة إلى نهاية باب الأفعال)، تحقيق: سيف بن عبد الرحمن بن ناصر العريفي، جامعة الإمام محمد بن سعود - الرياض، 1418 هـ - 1998 م.]
- الزبيدي، محمد بن محمد (ت 1205 هـ): تاج العروس من جواهر القاموس، تحقيق مجموعة من المحققين، دار الهداية، القاهرة.
- السخاوي، أبو الحسن، علم الدين علي بن محمد (ت 643 هـ): سفر السعادة وسفير الإفادة، تحقيق: محمد الدالي، تقديم شاكر الفحام، دار صادر، ط 2، 1415 هـ - 1995 م.
- ابن السراج، أبو بكر محمد بن السري (ت 316 هـ): الأصول في النحو، تحقيق عبد الحسين الفتلي، مؤسسة الرسالة، لبنان - بيروت.
- سيبويه، عثمان بن قنبر (ت 180 هـ): الكتاب، تحقيق: عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، ومطبعة دار الجيل، بيروت.
- ابن سيده، أبو الحسن علي بن إسماعيل (ت: 458 هـ): المحكم والمحيط الأعظم، تحقيق عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية - بيروت، ط 1، 1421 هـ / 2000 م.
- السيرافي، أبو سعيد الحسن بن عبد الله (ت 368 هـ): شرح كتاب سيبويه ، تحقيق أحمد حسن مهدي، علي سيد علي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط 1، 2008 م.
- السيوطي؛ جلال الدين عبد الرحمن (ت: 911 هـ): همع الهوامع في شرح جمع الجواamus، تحقيق عبد الحميد هنداوي، المكتبة التوفيقية - القاهرة.
- الشاطبيي، أبو إسحق إبراهيم بن موسى (ت 790 هـ): المقاصد الشافعية في شرح الخلاصة الكافية، تحقيق مجموعة محققين، معهد البحوث العلمية وإحياء التراث الإسلامي بجامعة أم القرى، ط 1، 1428 هـ - 2007 م.

- الشافعي، أبو عبد الله محمد بن إدريس (ت: 204هـ) مسنن الإمام الشافعي، ترتيب: محمد عابد السندي، عرف للكتاب وترجم للمؤلف: محمد زاهد بن الحسن الكوثرى، دار الكتب العلمية، بيروت ، 1370 هـ - 1951 م.
- ابن الصائغ؛ محمد بن حسن بن سباع (ت 720هـ): اللمحات في شرح الملحقة، تحقيق إبراهيم بن سالم الصاعدي، عمادة البحث العلمي بالجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، ط1، 1424هـ / 2004م.
- صالح كاظم عجيل: الفرارُ اللُّغَوِيُّ في كِتَابِ سِيِّوِيَّهِ - دراسة في استقراره وأصطلاحه وعلله، مجلة كلية التربية الأساسية، جامعة بابل، العدد 16، 2014م.
- الصاعدي؛ عبد الرزاق بن فراج: تداخل الأصول اللغوية وأثره في بناء المعجم، عمادة البحث العلمي، الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، ط1، 1422هـ / 2002م.
- الصبان، أبو العرفان محمد بن علي (ت: 1206هـ)، حاشية الصبان على شرح الأشموني لألفية ابن مالك، دار الكتب العلمية بيروت، ط1، 1417 هـ - 1997م.
- العسكري، أبو هلال؛ الحسن بن عبد الله (ت: 395هـ) الفروق اللغوية، حققه وعلق عليه: محمد إبراهيم سليم، دار العلم والثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة، ط1.
- العكري؛ أبو البقاء عبد الله بن الحسين (ت 616هـ): التبيين عن مذاهب النحويين البصريين والковفيين، تحقيق: عبد الرحمن العثيمين، دار الغرب الإسلامي، ط1، 1406هـ - 1986م.
- العكري؛ أبو البقاء عبد الله بن الحسين (ت 616هـ): اللباب في علل البناء والإعراب، تحقيق عبد الإله النبهان، دار الفكر - دمشق ، ط1، 1416هـ / 1995م.

- غيداء كاظم عبد الله: مفهوم القوة والضعف في اللغة العربية، مجلة القادسية للعلوم الإنسانية، جامعة القادسية، المجلد (20)، العدد 3، 2017 م.
- الفارسيّ، أبو علي الحسن بن أحمد (ت 377هـ) التعليقة على كتاب سيبويه، تحقيق عوض بن حمد القوزي، مطبعة الأمانة، ط 1، 1410هـ - 1990م.
- الفارسيّ، أبو علي الحسن بن أحمد (ت 377هـ): الحجّة للقراء السبعة، تحقيق بدر الدين قهوجي - بشير جوكيابي، راجعه ودققه: عبد العزيز رباح - أحمد يوسف الدقاد، دار المأمون للتراث - دمشق / بيروت، الطبعة الثانية، 1413هـ - 1993م.
- الفارسيّ، أبو علي الحسن بن أحمد (ت 377هـ): المسائل البصرية، تحقيق محمد الشاطر، أحمد محمد أحمد، مطبعة المدنى، ط 1، 1405هـ - 1985هـ.
- الفراء، أبو زكريا يحيى بن زياد (ت 207هـ): معاني القرآن، تحقيق أحمد يوسف النجاشي، محمد علي النجار، عبد الفتاح الشلبي، الدار المصرية للتأليف والترجمة، القاهرة، ط 1.
- الفراهيدي، الخليل بن أحمد (ت 175هـ): معجم العين، تحقيق: مهدي المخزومي، وإبراهيم السامرائي، دار الهجرة، إيران، 1405هـ.
- ابن القطاع الصقلي (ت 515هـ): أبنية الأسماء والأفعال والمصادر تحقيق ودراسة أحمد محمد عبد الدايم، دار الكتب والوثائق القومية، القاهرة، 1999م.
- ابن مالك، جمال الدين محمد بن عبد الله (ت: 672هـ): شرح تسهيل الفوائد، تحقيق: عبد الرحمن السيد، محمد بدوي المحتون، دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان، ط 1، 1410هـ - 1990م.
- ابن مالك، جمال الدين محمد بن عبد الله (ت: 672هـ): شرح الكافية الشافية، تحقيق عبد المنعم أحمد هريدي، جامعة أم القرى، الطبعة الأولى.

- البرّد، أبو العباس محمد بن يزيد (ت 285هـ): المقتضب، تحقيق محمد عبد الخالق عظيمة، عالم الكتب، بيروت.
- محمد ذي النون يونس، أحمد صالح يونس: ظاهرة الإجحاف في الدرس الصرفي والتحويي، مجلة كلية الآداب، جامعة مصراته، العدد الثالث، 1436هـ، 2015م.
- المرادي؛ بدر الدين حسن بن قاسم (ت: 749هـ) توضيح المقاصد والمسالك بشرح ألفية ابن مالك، شرح وتحقيق: عبد الرحمن علي سليمان، دار الفكر العربي، ط1، 1428هـ - 2008م.
- ابن هشام، جمال الدين عبد الله بن يوسف (ت: 761هـ) شرح قطر الندى وبل الصدى، تحقيق محمد محيى الدين عبد الحميد، القاهرة، ط11، 1383هـ.
- ابن منظور، جمال الدين محمد بن مكرم (ت: 711هـ): لسان العرب، دار صادر - بيروت، ط 3 - 1414 هـ.
- ناظر الجيش؛ محمد بن يوسف (ت: 778 هـ): شرح التسهيل المسمى (تمهيد القواعد بشرح تسهيل الفوائد)، دراسة وتحقيق: علي محمد فاخر وآخرين، دار السلام للطباعة والنشر، القاهرة، ط1، 1428 هـ.
- النّحّاس، أبو جعفر أحمد بن محمد (ت: 338هـ): إعراب القرآن، وضع حواشيه وعلق عليه: عبد المنعم خليل إبراهيم، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1421هـ.
- ابن يعيش، موفق الدين يعيش بن علي (ت: 643هـ): شرح المفصل، قدم له إميل يعقوب، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، 1422 هـ - 2001م.
- ابن الوراق، محمد بن عبد الله، (ت: 381هـ): علل النحو، تحقيق محمود جاسم محمد الدرويش، مكتبة الرشد، الرياض، ط1، 1420 هـ - 1999م.